الحمد لله و الصلاة والسلام على رسول الله "صلى الله عليه وسلم" و بعد:

فهذه حاشية مختصرة على رسالة الأصول الثلا ثة للإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب "رحمه الله" المتوفى سنة 1206هـ، و هذه الرسالة تعتبر من أهم الرسائل التي صنَّفها الإمام ، ولذلك كان العلماء يأمرون عامة المسلمين بحفظها و تعليمها للنساء و الصبيان ، لما تشتمل عليه من أصول الإسلام التي ينبني عليها الدين كله اعتقادًا وقولاً وعملاً ..

وهذه الحاشية هي تجميع و ترتيب و تهذيب للشروحات التي كتبها العلماء على الأصول الثلاثة ، و قد استوعبتُ فيها أكثر شروح العلماء مع تحقيق كثير من المسائل و ضبطها ، أسأل الله القبول و أن يجعلها خالصة له و صلى الله على محمد وآله وصحبه ..

مسألة في اسم الرسالة...

سماها المصنف بالأصول الثلاثة فقال : في الدرر "1 / 127 " فإذا قيل لك:

ما الأصول الثلاثة، التي يجب على الإنسان معرفتها ؟ فقل : معرفة العبد ربه، ودينه ،ونبيه محمداً صلى الله عليه وسلم ، ثم سردها .

أما الشيخ عبد الرحمن بن قاسم جامع الدرر السنية قال في حاشيته :

حاشية ثلاثة الأصول ، مما يدل على أنه يرى أن اسمها ثلاثة الأصول ، وكذا في مجموع مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، في القسم الأول في العقيدة ص 183 سُميت أيضا ثلاثة الأصول ، وكذا شيخنا محمد العثيمين رحمه الله في شرحه قال :

شرح ثلاثة الأصول ،و الذي يترجح لي أنَّ الرسالة اسمها " الأصول الثلاثة" ، كما نص عليه صاحب الرسالة..

المسألة الثانية زمن تأليف الرسالة..

ألفها في أوائل دعوته السلفية بعد أن صار له نصرة ودار ، وقلنا ذلك لأنه في رسالته هذه تكلم عن الهجرة وعن دار الإسلام ودار الشرك والكفر ، وهذه قرينة على أنه ألفها

في مكان يمكن أن يكون إليه هجرة ، ويحتمل أنه ألفها في العيينة قبل انتقاله إلى الدرعية لأنه كان له فيها نصرة ، ويحتمل أنها في الدرعية لأن النصرة فيها أقوى ولا يخرج الحال عن هذين الاحتمالين ، والله أعلم .

المسألة الثالثة : موضوع الرسالة..

الموضوع هو الحديث عن الأصول الثلاثة ، فبدأ بالأصول الثلاثة : الأصل الأول عن معرفة الله ثم الثاني عن معرفة الدين ومراتبه الثلاث ثم الثالث عبارة عن سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم باختصار شديد،وهذه الرسالة تنقسم إلى ثلاثة أقسام :-

القسم الأول : مقدمة وتشتمل على مقدمات أيضاً تعتبر تمهيداً لموضوع الرسالة ....

وذكر في أول هذه المقدمات وجوب تعلم أربع مسائل وهي :

الإيمان والعمل الصالح والدعوة إلى ذلك والصبر على الأذى فيه ....

وفي ثانيها ذكر ثلاث مسائل وجب العلم بهن وهي :

أن الله خلقنا ورزقنا وأرسل إلينا رسله وعلينا طاعتهم ،والثانية: أن الله لا يرضى بالشرك .

والثالثة : ذكر مسألة الولاء والبراء .

وثالثها : مقدمة تشتمل على بيان معنى الحنيفية السمحة وأن مبناها على توحيد الله .

والقسم الثاني من الرسالة : ذكر فيه الأصول الثلاثة التي يجب معرفتها على كل مسلم ومسلمة وعلى هذا فالمقدمات الثلاث الأولى توطئةٌ للحديث عن الأصول الثلاثة ..

والقسم الثالث : خاتمة وتشتمل على ذكر شيءٍ من أمور الأخرة كالبعث والحساب ..

ثم ذكر مسألة الكفر بالطاغوت وصفته ورءوسه ...

وبهذا فالرسالة تشتمل على بيان الأصول التي ينجو بها العبد من الكفر والشرك والبدع والمعاصي، وهذا هو الطريق العام ، طريق الأنبياء والمرسلين..

** ** **

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب :

بسم الله الرحمن الرحيم .

اعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل، الأولى : العلم ؛ وهو : معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة ؛ الثانية : العمل به ؛ الثالثة : الدعوة إليه ؛ الرابعة : الصبر على الأذى فيه، والدليل قوله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم (والعصر، إن الإنسان لفي خسر، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) قال الشافعي، رحمه الله تعالى، لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم وقال البخاري، رحمه الله تعالى : باب : العلم قبل القول والعمل، والدليل قوله تعالى : (فاعلم أنه لا إلَه إلاّ الله واستغفر لذنبك) فبدأ بالعلم، قبل القول والعمل .

الشرح : قال :" بسم الله الرحمن الرحيم " ...

ابتدأ كلامه بالبسملة اقتداء بالكتاب العزيز فإنها أول مذكور فيه،وعملاً بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم العملية ، حيث كان يبدأ بها رسائله للملوك والأمراء ...

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري :

" استقر عمل الأئمة المصنفين على البدء بالبسملة في مصنفاتهم " ..

وقد اقتصر على البسملة لأنها من أبلغ الثناء والذكر ...

والباء في بسم الله للإستعانة وقيل للتبرك وهي أصلية لا زائدة ...

والجار والمجرور في " بسم " متعلقة بمحذوف ، قدره العلماء فعلاً خاصاً متأخراً ...

أما كونه فعلاً فلأنّ الأصل في العمل للأفعال ،فالفعل عامل أصلي في الإعراب

يرفع فاعلاً وينصب مفعولاً وهكذا ، وأما كونه خاصاً فلأن كل مبتدئ بالبسملة

يضمر ما جعل البسملة مبدءً له ، وأما كونه متأخراً فله فائدتان :

أولهما : الاهتمام، فاسم الله سبحانه أهم ما يُبدأُ به ...

الثانية : الحصر، وهو " إثبات الحكم في المذكور دون ما سواه " ...

والتقدير : " باسم الله أبداً لا باسم غيره " وذلك حقيقة التوحيد ...

" الله " لفظ لجلالة علم على الذات الإلهية ، فلا يسمى به غير الله سبحانه ..

وقد اختلف الناس هل هو مشتق أم جامد على قولين :-

أحدهما : أنه مشتق أي دالٌ على ذات وصفه ، قال ابن القيم :

" والصحيح أنه مشتق وأن أصله الإله ، حذفوا الهمزة وأدغموا اللام في اللام

فصارتا لاماً واحدة مشددة مفخمة " ...

وبهذا قال سيبويه وجمهور أصحابه إلا من شذَّ منهم ...

والثاني : أنه جامد أي دالٌ على ذات فقط وهو قول الزمخشري ...

والصحيح الأول وأنه مشتق والصفة التي يدل عليها هي الألوهية ...

أي كونه مألوهاً معبوداً ، قال ابن عباس:

" الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين " ...

وهذا الإسم هو الجامع لمعاني الأسماء والصفات وله خصائص لفظية ومعنوية أشار

إليها ابن القيم في مدارج السالكين . ..

"الرحمن الرحيم " هما إسمان من أسماء الله تعالى دالان على صفة الرحمة وهى :-

"حنو الله تعالى على خلقه وشفقته عليهم بجلب ما ينفعهم ودفع ما يضرهم"..

ومن أثارها إنزال الكتب وإرسال الرسل لبيان الطريق الموصلة إلى رضوان الله تعالى ..

"والرحمن" : اسم من أسماء الله المختصة به فلا يجوز أن يطلق على غيره ومعناه

" ذو الرحمة الواسعة "، فهو على وزن فعلان ، و هذه الصيغة تدل على الامتلاء

والكثرة، مثل : عطشان أي: شديد العطش ،و منه : جوعان و ظمآن ...

ولهذا قال عيسى بن مريم عليه السلام **"الرحمن رحمن الدنيا والآخرة "..**

ورحمته هذه تشمل الجن والإنس والبهائم ...

ولهذا اعتبر ابن القيم هذا الاسم وصفاً ملازماً لذات الله تعالى ...

وأما الرحيم:فهو ذو الرحمة الواصلة أى الذى يوصل رحمته لمن يشاء من عباده،

فهي رحمة خاصة ، **قال تعالى " وكان بالمؤمنين رحيماً " الأحزاب (43).....**

إذن هناك رحمتان : عامة وخاصة ، العامة تشمل جميع الخلق و الخاصة للمؤمنين...

وقد اختلف العلماء في البسملة هل هي آية من كل سوره ؟ أم أنها آية مستقلة أنزلت

للفصل بها بين السور وللتبرك بها ؟ ....

والصحيح القول الثاني أنها آية مستقلة يفصل بها بين السور ويتبرك بها ، وهو اختيار

أبي حنيفة و اختاره ابن تيمية ، و نص الشافعي على أنها أية من كل سورة ...

وأجمعوا على أنها جز آية من سورة النمل ....

** ** **

قال المصنف:" اعلم رحمك الله أنه يجبُ علينا تعلمُ أربع مسائل " ...

" اعلم " كلمة يؤتى بها عند ذكر الأشياء المهمة التي ينبغي للمتعلم أن ينتبه إليها

ويحرص عليها، فإن فيها إثارة لانتباه المستمع و المتعلم ...

وهى فعل أمر مبنى على السكون وفاعله مستتر وجوباً تقديره أنت أي الطالب للحق ....

والعلم هو " الإدراك" و " المعرفة" و أكثر العلماء لا يفرقون بين هذه الثلاث ..

وتعريف العلم ذكره أبو الخطاب في كتابه التمهيد في أصول الفقه ، الجزء الأول صـ 36

فقال: " العلم هو المعرفة أي تعرفُ المعلوم على ما هو به وهو المعرفة الصحيحة " إ.هـ

واستدل بقوله تعالى : { الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبنائهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون } ، فجعل العلم بمعنى المعرفة وهو الذي اختاره المصنف..

و الإدراك هو : " وصول النفس إلى المعنى بتمامه " ، فالذي ينظر إلى المسائل من جوانبها المختلفة و يتقن فهمها نقول : قد أدركها بتمامها ...

فالصلاة لها شروط و أركان و واجبات و سنن و مكروهات و مفسدات، فمن تمعن في دراستها هكذا يكون قد أدركها و علم بها على سبيل الجزم ..

أما من نظر لجانب وترك آخر لا يكون مدركا و لا عالما بهذا الشيء ..

و هذا يسميه المناطقة "شعورا" ،فمن أدرك جانبا من المسألة و جهل آخر نقول: عنده شعور بالأمر ،ولا نقول إدراكا...

و هذا الإدراك مراتبه ست :

أولها: العلم: "وهو إدراك الشيء على ماهو عليه"،كالعلم بأن الواحد نصف الاثنين ...

وثانيها:الجهل البسيط: وهو" عدم الإدراك "،كمن قيل له : متى كانت غزوة بدر ؟

فقال : لا أدري ، هذا جاهل ، لكن جهله بسيط ...

وثالثها:الجهل المركب : وهو " إدراك الشئ على خلافه " ، كأن يقول : غزوة بدر كانت في سنة خمس للهجرة ...

ورابعها:الوهم: وهو " إدراك الشئ مع احتمال ضده الراجح "...

وخامسها:الشك: وهو" تجويز أمرين بلا ترجيح" ، كمن يتوقف في حكم شرعي لعدم القطع بالراجح في نفسه ...

وسادسها:الظن: وهو " إدراك الشئ مع احتمال ضد مرجوح"

و غالب أحكام الفقه تدخل في باب الظن لاحتمال الأدلة وجوها من المعاني..

وأما العلم فهو قسمان :-

علم ضرورى وهو "ما يتحصل من غير نظر ولا استدلال ولا يمكن دفعه "،

كالعلم بأن النار محرق و أن الماء مغرق ...

.وعلم نظرى وهو"ما يحتاج إلى نظر واستدلال "كالعلم بوجوب النية فى الصلاة ....

قال المصنف: "رحمك الله "..

هذه جملة دعائية، خبرية لفظاً، إنشائية معنى...

ومعنى أنها دعائية أى: أنها تحمل معنى الدعاء فالمعنى الله يرحمك ويوفقك لما فيه

رضاه وهذا من رحمة الشيخ بطلابه ومن تعلم منه ، والأصل فى صاحب العلم أن

يكون رحيماً بمن حوله ليتمكن من توصيل الحق لهم وإلا زهدوا فيما عنده ....

وأما كونها خبرية لفظاً فلأن فيها معنى الإخبار بحصول الرحمة لمي انتبه

لما في هذه الرسالة من الخير........

وأما كونها إنشائية فلأن فيها معنى الدعاء بالرحمة والدعاء طلب والطلب إنشاء ...

والرحمة إذا أفردت دلت على المغفرة لما مضى والتوفيق لما يأتي في المستقبل ....

وأما إذا قرنت بالمغفرة فيراد بها السلامة من ضرر الذنوب والمغفرة يراد بها ما مضى ...

قال المصنف:" أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل" ...

أنَّ حرف توكيد ونصب والهاء ضمير مبنى على الضم فى محل نصب اسم أنَّ ويسمى

ضميرالشأن والحال وعلى هذا فالمعنى "اعلم أيها القارئ والسامع ان الحال والشأن أي

حالك وشأنك يوجب عليك أن تتعلم هذه المسائل لتنجو من الخسران الذى شمل جميع

الخلق إلا من تعلم هذه المسائل الموجودة فى سورة العصر وهى العلم والعمل به

والدعوة إليه والصبرعلى الأذى فيه ....

قال:" يجب "، الواجب هو " ما طلب الشارع فعله على سبيل الإلزام " بحيث:

يثاب فاعله ويعاقب تاركه والمعنى: أن العلم بهذه المسائل من الأمور الواجبة التي يلزم كل

مكلف من الإنس والجن أن يتعلمها فلا سبيل إلى الخروج من الخسران إلا بتعلمها والعمل بها ....

ويدخل في هذا الخطاب الواجب المسلمون والكفار لإنّ الكفار مخاطبون بأصول الشريعة

وعلى هذا قام **الإجماع** **لقوله تعالى " يأيها الناس اعبدوا ربكم** " وهو عام يشمل الجميع ....

والذي أوجب هذه المسائل سورةُ العصر لإنه لا يمكن تجنب الخسران إلا بهذه الأربع التي

جاءت في سورة العصر ونص عليه الشافعي ونقله شيخ الإسلام ابن تيمية وحكى عليه

إجماع أهل العلم ...

إذن :هذه المسائل لا فلاح بدونها ولهذا فهي واجبة على العباد كلهم ...

قال"تعلمُ أربع مسائل"، وقوله" تعلم" على وزن" تفعل" أي طلب العلم بهذه الأربع ،

فلا بد من بذل الجهد فى تعلمها وحفظها فإنه لا غنى عنها لكل مسلم ...

وهذه المسائل الأربع التي استخرجها الإمام من سورة العصر تشمل الدين كله

فهي جديرة بالحفظ والعناية والرعاية ، ولهذا كان العلماء يأمرون العامة بحفظها لما

فيها من الخير العظيم ...

والمسائل جمع مسألة وهي " ما يُسأل عنه " ...

قال الإمام أحمد " يجب أن يطلب من العلم ما يقوم به دينه ، قيل له : مثل أي شئ ؟

قال : الذي لا يسعُه جهلُه صلاته وصيامه ونحو ذلك ....

إذن هناك من العلم ما يجب تعلمه وهو ما يقوم به الدين ويفوت بفواته ومن ذلك تلك

المسائل الأربع ...

قال " الأولى: العلم"، وهو معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام بالأدلة " ....

" الأولى " أي أول مسألة من المسائل الأربع ...

" العلم " وهو الإدراك والمعرفة ولافرق بينهما على الصحيح ....

وقال ابن القيم : العلم "هو معرفة الهدى بدليله " **...**

ومراد المصنف : العلم بما أوجب الله علينا أن نتعلمه ، إذ من العلم ما هو مستحب

ومنه ما هو واجب ، وعلى هذا فقوله" العلم "يراد به: ما طلب الشارع تعلمه على

سبيل الحتم والإلزام ،بحيث لا يسع أحداً أن يجهله ، بل طلبه واجب على جميع الخلق ...

ثم ذكر الإمام رحمه الله ما هو العلم الذي يتوجب علينا أن نعرفه وندركه فقال :

" هو معرفة الله "، وهذا هو أصل الأصول الذي يجب على كل عبد أن يعرفه ,

ويتحقق ذلك بشيئين :

الأول: بالنظر في الآيات الشرعية التي تُعَّرِفُ العبد بربه عز وجل ...

والثاني : بالنظر في الآيات الكونية كالليل والنهار والشمس والقمر فإنها دالة على من أوجدها،

إذ يستحيل أن يكون هذا الكون بما فيه من المخلوقات قد وجد بلا موجد أوجده ونظمه ،

فإذا فعل العبد ذلك فإنه سيعرف ربه عز وجل ، وهنا سؤال مهم قد يسأله البعض وهو :

قلتم إن النظر في الآيات الشرعية والآيات الكونية سيعرفنا بالله سبحانه ،

وعلى هذافمن هو ربنا ورب كل شيء ؟ والجواب :

الله عز وجل الذي خلق الإنسان من عدم وكرمه وسخر له الكون بما فيه ليتمكن من

العيش على الأرض، وهو الذي خلق السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم وهو

رب العالمين ، وقد عرفنا بنفسه في كتابه فسمى نفسه باسم جامع لكل كمال وهو "الله"،

وسمى نفسه بأسماء ووصف نفسه بصفات كلها تابعة لاسمه الأعظم "الله "،

ومن أسمائه الرحمن الرحيم ومن صفاته الرحمة والمغفرة والكبرياء...

ذلك هو ربنا ورب العالمين ،وهذه المعرفة تستلزم أن نعبده وحده بلا شريك كما

قال تعالى:" يأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم". البقرة(21)..

وقال سبحانه " ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل".لقمان(30)..

وقال سبحانه " واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً " الإسراء (23)...

فمن عرف الله عزوجل ولم تستلزم هذه المعرفة عبادته وطاعته فقد شابه إبليس اللعين فإنه عرف الله سبحانه واستكبر عن عبادته ...

إذن شرط الإنتفاع بمعرفة الله هو "عبادته وحده بلا شريك "...

قال:"ومعرفة نبيه"،وهو محمد بن عبد الله الهاشمي القرشي ، أرسله الله إلى الناس كافة ليدعوهم إلى عبادته وحده وترك الإشراك به، فمكث ثلاثاً وعشرين سنة فيهم، يعلم ويربى حتى أدي ما عليه وقد ختم الله به الرسل كلهم أجمعين..

وهذه المعرفة تستلزم طاعته صلى الله عليه وسلم فيما أمر واجتناب ما نهى عنه ...

قال تعالى " لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة " الأحزاب (21)...

وقال سبحانه " قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله " آل عمران (31)..

فشرط الإنتفاع بمعرفة رسول الله "صلى الله عليه وسلم" هو " إتباع هديه وسنته في كل كبيرة وصغيرة ، وتحكيمه في كل الخصومات وفي الأموال والفروج والدماء " ...

قال تعالى " فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم " النساء(65)..

" ومعرفة دين الإسلام بالأدلة"...

وهو الإستسلام لله تعالى والخضوع له واتباع شريعته ...

والإسلام له معنيان : معنى عام : والمراد به " عبادة الله وحدة لا شريك له " وهو دين الأنبياء والمرسلين الذي جاء به إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم ...

وأما المعنى الثاني: فهو الإسلام الخاص والمراد به : ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ونسخ به جميع الشرائع السابقة ولزم الخلق كلهم بعد بعثته أن يؤمنوا به ويتبعوه ...

قال سبحانه:"ومن يبتغ غيرالإسلام ديناً فلن يقبل منه وهوفي الآخرة من الخاسرين"آل عمران..

قال المصنف:" بالأدلة "...

والمراد بذلك أن تكون معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة الإسلام من خلال النظر في أدلة الكتاب والسنة ، ومن المعلوم أن الإسلام ينقسم إلى أصول وفروع ،

فهل المراد معرفة الفروع بالأدلة ؟ الجواب : لم يقل بذلك أحد من العلماء ،

أم أن المراد بذلك معرفة الأصول؟ ولكن هل المراد كل الأصول أم بعضها ؟

أم أن المراد الأصول التي يثبت بها التوحيد وينتفي بها الشرك ؟ مثل أركان الإسلام والإيمان وهذه أصول الإسلام ، وهل يثبت الإسلام بكلها أم ببعضها ؟ بمعنى :

من أقر بالشهادتين بهذا دخل في الإسلام هل لابد أن يؤمن بالملائكة ؟

فإن مات على ذلك هل يصح إسلامه أم لا ؟

الجواب : يصح إجماعاً إن مات ولم يعلم ...

وبالجملة : بعض هذه الأصول لا بد من معرفتها لصحة إسلام العبد ،

ومنها " معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة ودين الإسلام " ...

فإن انتفى واحد منها انتفى الإسلام وليس إلا الكفر ...

لكن السؤال هنا : الأصول التي يشترط معرفتها لثبوت الإسلام ،هل يشترط أن تقوم معرفة العبد بها على نظره في أدلة الكتاب والسنة ؟ أم يكفى التقليد فيها ؟..

بمعنى: من نشأ في أسرة مسلمة، هذا يرث الإسلام بالتقليد لوالديه ،و يكون إسلامه ليس كإسلام من نشأ نصرانيا فبحث عن الحق فأسلم من خلال النظر في حقيقة الباطل الذي كان عليه ، ثم قناعته بالدين الحق الذي جاء به رسول الله " عليه السلام"..

هذا الذي ورث الإسلام تقليدا لوالديه ، عنون له العلماء في مصنفاتهم بقولهم :

" إيمان المقلد " و هل إيمانه صحيح نافع أم لا ؟ و هل يلزمه إعادة إيمانه بالنظر في أدلة الكون و الشرع ليتوصل إلى الحق من غير تقليد ؟ ..

أقول : من أقر بالشهادتين هل يشترط أن يشهد مع الدليل أم لا ؟

فيها قولان : الأول : يحرم التقليد ويشترط أن يشهد مع الدليل والنظر،

وهو قول المعتزلة والأشاعرة ، قال السفاريني في " لوامع الأنوار البهية":

يحرم التقليد في معرفة الله تعالى والتوحيد والرسالة ،وقد نسب هذا القول للإمام أحمد

ولجمهور الحنابلة وذكره أبو الخطاب عن عامة العلماء، أ.هـ..

واستدلوا بقوله تعالى **" فاعلم أنه لا إله إلا الله " محمد** ، وبآيات التدبر والتفكر

" أفلا يتدبرون " " أفلا ينظرون " ولأنه تعالى ذم التقليد ...

وحقيقة المسألة ومنشئها: أنه قد قام الإجماع على وجوب الجزم في المعتقد،

وبهذا جاء التنزيل **" ثم لم يرتابوا " الحجرات**....

ولكن هل الجزم لا يكون إلا عن دليل ونظر أم يكفي فيه التقليد ؟ ...

ولهذا فهم يُجرون عليه الأحكام الظاهرة في الدنيا وقد يكون كافراً عندهم في الآخرة ...

والقول الثاني : يجوز التقليد في ذلك ويكفى ولا يشترط النظر والدليل ،

فمتى تحصل الجزم وانتفى الشك كان كافياً وإن لم يكن بدليل ...

قال ابن حامد :لا يُشترط أن يجزم عن دليل،يعني: يكفى الجزم ولو بالتقليد ..."لوامع الأنوار"..

قال ابن مفلح في مختصر التحرير : وأجازه جمع ،أجازه بعض الشافعية لإجماع السلف

على قبول الشهادتين من غير أن يُقال لقائلها هل نظرت: يعني دون أن يسأل.

قال ابن حزم رحمه الله : وقال سائر أهل الإسلام: كل من اعتقد بقلبه اعتقادا لا

يشك فيه وقال بلسانه لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأن كل ما جاء به حق

وبرئ من كل دين سوى دين محمد صلى الله عليه وسلم فإنه مسلم مؤمن ليس

عليه غير ذلك) الفصل 35/4 .

وأشار إلى صحة إيمان المقلد الموفق ابن قدامه في روضة الناظر ووافقه الشنقيطي

في تعليقه على الروضة واستدلا بدليلين ، الأول { فاسألوا أهل الذكر} والثاني

{ ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون } .

ووجه الدلالة من هاتين الآيتين أنه يقبل قول المنذر إذا رجع إلى قومه ويكتفي

بسؤاله وأما الآية الأولى { فاسألوا أهل الذكر } أي السؤال عن الحكم الشرعي..

وقال أبو حامد الغزالي في كتابه " فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة" :

والحق الصريح أنَّ من اعتقد أنَّ كل ماجاء به الرسول "صلى الله عليه وسلم"، واشتمل عليه القرآن حق، اعتقاداً جازماً، فهو مؤمن وإن لم يعرف الأدلة " أ.هـ...

فكثير من الناس يعرف الربوبية والألوهية ولا دليل ، فالحق أنه لا يلزم أن يتكلف العبد مالا يطيق ولا يستطيع ...

قال العنبري الحنبلي :" يجوز التقليد في أصول الدين ولا يجب النظر اكتفاءً بالعقد الجازم ، لأنه صلى الله عليه وسلم كان يكتفي في الإيمان من الأعراب، وليسوا أهلاً للنظر بالتلفظ بالشهادتين المنبئ عن العقد الجازم ".أ.هـ ذكره ابن الحاجب في مختصره..

لقد كان النبي "صلى الله عليه وسلم" يأتيه الأعراب وفيهم الأجلاف الذين لا يفهمون الحجة، فكان يلقنهم الشهادتين ويكتفي بالتلفظ المؤدي للإيمان الجازم من غيردليل ...

والصحابة فتحوا البلاد وقبلوا إسلام الناس بمجرد التلفظ ولم يوقفوهم على دليل ليقبلوا إسلامهم ...

قال النووي رحمه الله : " الآتي بالشهادتين مؤمن حقاً وإن كان مقلداً على مذهب المحققين والجماهير من السلف والخلف بل هو إجماع " أهـ.ذكره في االلوامع...

قال الرازى فى التفسير الكبير فى تفسير قوله تعالى: وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾ ..

قال جمهور الفقهاء وكثير من المتكلمين :

إن إيمان المقلد صحيح ، واحتجوا بهذه الآية ، قالوا : إنه تعالى حكم بصحة إيمان أولئك الأفواج وجعله من أعظم المنن على محمد عليه السلام ، ولو لم يكن إيمانهم صحيحا لما ذكره في هذا المعرض، ثم إنا نعلم قطعا أنهم ما كانوا عالمين حدوث الأجساد بالدليل، ولا إثبات كونه تعالى منزها عن الجسمية والمكان والحيز ولا إثبات كونه تعالى عالما بجميع المعلومات التي لا نهاية لها، فعلمنا قطعا أن ايمان المقلد صحيح"أهـ..

قال تعالى : " فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر " الأيات ..

فقوله " فاسألوا " عام يشمل كل أمور الدين ، ومن الذي يسأل ؟ الجواب : الذي لا يعلم ،

قال ابن عباس : بالبينات أي الحجج والبراهين، فالذي يسأل هو الذي لا يعلم البراهين والحجج ،

كذلك قوله صلى الله عليه وسلم " من قال لا إله إلا الله ،وكفر بما يعبد من دون الله،

حرم ماله ودمه وحسابه على الله تعالى " رواه مسلم..

فاكتفي بالقول في صحة الإقرار الذي يثبت به وصف الإسلام ابتداءً..

إذن : الصحيح هو القول بجواز التقليد في الأصول والإيمان، ومن جهة النظر نقول:

" التوحيدُ أمرٌ عامٌّ " ورفع الحرج فيما يتعلق به واجب لحاجة الخلق كلهم له، وليس كل الناس

قادراً على النظر في الدليل وفهم وجه الدلالة منه ، فتعين رفع الحرج والله تعالى يقول:

" لا يكلف الله نفساً إلا وسعها " البقرة...

* * *

قال المصنف: " الثانية : العمل به " .....

أي: المسألة الثانية الواجب تعلمها هي العمل بمقتضى العلم الذي تحصل من معرفة الله

تعالى، ومن معرفة نبيه ومن معرفة دين الإسلام ..

والعمل ثمرة العلم ولهذا قال الفضيل:" لا يزال يُقال للعالم يا جاهل حتى يعمل بما علم "،

وقال ابن تيمية : " العلم أصل العمل، وصحة الأصول توجب صحة الفروع " ،

ومراده " رحمه الله " أن العلم هو الأساس الذي ينبني عليه العمل ، وصحة الأصول أي العلم،

توجب صحة الفروع أي تستلزم العمل ، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" إن من أول من تسعر بهم النار يوم القيامة : عالم لم يعمل بعلمه " رواه مسلم من حديث أبي هريرة .

والعمل ينقسم إلى ما هو واجب كالعمل بالواجبات والشروط والتوحيد ونحو ذلك ،

ومنه: المستحب كالعمل بالمستحبات،و منه العمل المحرم كالعمل بالشركيات

أوالكبائر، ومنه ما هو مكروه وهو العمل بالمكروهات .

" مسألة " هل الترك يسمى عملاً ؟ كمن ترك الزنا فهل يقال عمل صالحا ؟ الجواب:

فيه تفصيل إن تركه امتثالاً مثل الابتعاد عن وسائل الزنا فهذا عمل صالح .

وإن تركه عجزاً فلا يدخل ، وعلى ذلك فالترك مع النية الصالحة عمل،

قال تعالى : { وذروا ما بقي من الربا } .

" الثالثة : الدعوة إليه " ...

أي إلى ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من شريعة الإسلام،وقد جعل الله سبحانه

الخيرية في هذه الأمة لقيامها بمهمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،كما قال سبحانه:

" كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر " آل عمران ....

" مسألة " على من تكون الدعوة ؟ على من تعلم العلم، فمن كان جاهلاً لا يجب

عليه الدعوة ولكن يجب أن يتعلم أولاً ثم بعد ذلك يدعو .

الدليل على وجوب الدعوة حديث معاذ " إنك تأتي قوما أهل كتاب فليكن .. "..

الشاهد : " فليكن أول ما تدعوهم " اللام للأمر والأمر يقتضي الوجوب .

والدليل الثاني حديث علي " انفذ على رسلك " ثم قال " ثم ادعهم إلى الإسلام "،

هذا الشاهد وقوله ادعهم أمر والأمر يقتضي الوجوب . والحديثان كلاهما في الصحيحين.

" مسألة " لمن توجه الدعوة ؟

الجواب : تدعو الكافر والمسلم الجاهل والمخطىء والمتأول والمعاند .

" مسألة " هناك فرق بين قوله " الدعوة إليه " ووجوب الدعوة ، فإن معنى الدعوة إليه

أي إلى العلم وبثه بين الناس أما وجوب الدعوة مطلقاً فهي تشمل أيضاً الأمر بالمعروف

والنهي عن المنكر والوعظ والنصح .

" الرابعة : الصبر على الأذى فيه " ...

هذا الواجب الرابع الصبر على الأذى في الدعوة إلى العلم .

الصبر لغة : الحبس والمنع . اصطلاحاً : حبس النفس عن التسخط واللسان عن التشكي والجوارح عن لطم الخدود .. وأمثال ذلك .

" فيه " الضمير يعود إلى العلم أي يصبر على ما يواجهه في طلب العلم وما يصيبه من أذى في نشر العلم والعمل به .

" الأذى " الألف واللام للعموم والأذى أنواع :

أذى بدني،و أذى مالي،وأذى كلامي نفسي ، فيصبر على ما يلقاه.

وأفضل الصبر عند الصدمة الأولى ثم الاستمرار في الصبر حتى ينتهي البلاء..

" قوله : والدليل " أي: على وجوب هذه الأربع التي ذكر أنها واجبة على كل مسلم ومسلمة، واستدل رحمه الله على وجوبها بآيات سورة العصر ....

" والعصر " الواو حرف قسم " والعصر " مقسم به مجرور ، والعصر مخلوق، والله سبحانه له أن يقسم بما شاء ، وإذا أقسم سبحانه بالعصر دل ذلك على أهميته ، والقسم يراد به التوكيد على شئ معين ، وأما المخلوق فلا يقسم إلا بالله سبحانه لأن القسم فيه معنى التعظيم، وهو حق لله تعالى، وقوله سبحانه " والعصر " قسم ، وجوابه " إن الإنسان لفي خسر " الآية ..

وقد اختلفت عبارات المفسرين في المراد بالعصر ، فقال بعضهم : هو الدهر ، وقال آخرون : هو صلاة العصر ، وقال آخرون هو عصر النبي صلى الله عليه وسلم ،

والصواب أن يحمل على كل هذه المعاني ....

و " أل " في الإنسان هي التي تفيدالتعريف وتدل على العموم لصحة إبدالها بـ " كل " ، ويكون المراد بذلك كل إنسان ، وقال ابن عباس : المراد الكفار ، وجمهور المفسرين على أن المراد جنس الإنسان ، فالكل مخاطب بهذه السورة وبحصول الخسران له إلا من استثناهم الله عز وجل بهذه الصفات،فالله أقسم في هذه السورة أن كل إنسان في خسرإلا من جمع أربع صفات :-

أحدها : الإيمان بكل ما أوجب الله الإيمان به ...

والثاني : العمل الصالح، وهو كل قول أو فعل يقرب إلى الله تعالى شريطة أن يكون فاعله مخلصاً لله تعالى ومتبعاً لمحمد صلى الله عليه وسلم ...

والثالثة : التواصي بالحق وهو أن يوصي بعضهم بعضاً بفعل الخير وترك الشر ....

والرابعة : التواصي بالصبر وهو أن يوصى بعضهم بعضاً بفعل أوامر الله وترك ما حرم والصبرعلى أقدار الله تعالى ...

وقال الشافعي " لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم " ، مراده : أن هذه السورة كافية للخلق في الحث على ما يبلغهم الفلاح ويجنبهم الخسران، وهذه السورة من تأملها وجدها تجمع الدين كله ..

وقال البخاري : " بابٌ: العلم قبل القول والعمل " ، استدل البخاري بهذا على وجوب التعلم أولاً ثم القول والعمل ، والعمل لابد أن يكون قائماً على وفق الشريعة وإلا كان مردوداً ...

و بهذا تنتهي المقدمة الأولى ...

*　　　　*　　　　*

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب :

اعلم رحمك الله : أنه يجب على كل مسلم ومسلمة، تعلم هذه المسائل، والعمل بهن .

الأولى : أن الله خلقنا ورزقنا، ولم يتركنا هملاً، بل أرسل إلينا رسولاً، فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار، والدليل قوله تعالى :

(إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً، فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً وبيلاً)

الثانية : أن الله لا يرضي أن يشرك معه أحد في عبادته، لا ملك مقرب، ولا نبي

مرسل، فضلاً عن غيرهما ؛ والدليل قوله تعالى :

(وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) ..

الثالثة : أن من أطاع الرسول، ووحّد الله، لا تجوز له موالاة من حاد الله ورسوله، ولو كان أقرب قريب، والدليل قوله تعالى : (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون) ..

الشرح :قال الإمام : " اعلم رحمك الله أنه يجبُ على كل مسلم ومسلمة

تعلمُ ثلاثِ هذه المسائلِ و العملُ بهنَّ " .....

وهذه هي المقدمة الثانية التي ُتعتبر كالتمهيد والتوطئه للمقصود الأصلي للرسالة .

وقوله " اعلم " أي أن الحال والشأن أنه يجب علينا أن نتعلم هذه المسائل الثلاث ...

وقوله " يجب " أي أنها على سبيل الإلزام والحتم الذي لا يسع أحداً العدول عنه...

وهذه الثلاث تشتمل على أصول الإيمان " الربوبية ،والألوهية، و الموالاة والمعاداة " ...

وقوله " تعلمُ " تفعل من المفاعلة وهي الطلب أي طلب العلم بهذه المسائل ...

" والعملُ بهنَّ " فالعلم ثمرته العمل ، وإذا صحت الأصول صح ما يترتب عليها ...

الأولى " أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملاً،بل أرسل إلينا رسولاً،فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار والدليل قوله تعالى :" إنا أرسلنا إليكم رسولاً شاهداً عليكم ، كما أرسلنا إلى فرعون رسولا فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذاً وبيلا " المزمل ....

هذه المسألة لم ينازع فيها أحدٌ، فالكل أقر بها قال تعالى :" ولئن سألتهم من خلقهم ليقولون الله .

فأنَّى يؤفكون" الزخرف (87) ،وقال سبحانه : " ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض.

ليقولنَّ الله"الزمر (38)، والمشركون الذين بعث فيهم رسول الله "صلى الله عليه وسلم"،

قد أقروا بذلك وإنما كانت الخصومة في الألوهية ...

وقوله " خَلقنَا ": الخلقُ "هوالإيجادُ من عدم المسبوقُ بالتقدير " فالله أوجد الإنسان من عدم ،

وكان من قبلُ فناءً قال تعالي "هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً " الإنسان ....

والمعنى: قد أتى على الإنسان زمن لم يكن فيه شيئاً يذكر،كان عدماً ثم أوجده الله سبحانه...

وهذا الإيجاد مسبوق بتقدير أى: بالعلم السابق لإيجاد الإنسان واللاحق له فيما كان منه،

وما يكون له ،ومسبوق بالكتابة كتب الله كل شئ عنه قبلاً وبعداً مع قدرته عليه سبحانه...

"ورَزَقَنَا " الرَّزْقُ بالفتح مصدر وبالكسر اسم الشئ المرزوق وهو كل ما ينتفع به.....

سواء كان مأكلاً أو مشرباً أو ملبساً أو عطاءً ينتفع به هكذا فى لغة العرب...

والرزق الكريم هو الكثير ،وقولهم : مازال حياً يرزق أى صحيحاً معافى...

والمطر يسمى رزقاً "وينزل لكم من السماء رزقاً" الآية.وهذا من باب تسمية الشيء باسم

السبب،ويراد به شكر الله "وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون " الآية...

ويراد به الثواب " قد أحسن الله له رزقاً "الآية .أي ثواباً....

ويراد به النفقة" وعلى المولود له رزقهنَّ " أي النفقة ....

والمعني أنه سبحانه أعطى عباده كل ما ينتفعون به ولهذا وجب عليهم شكره...

"ولم يتركنا هَمَلاً" أى: من غير أمر ولا نهى كما قال سبحانه " أيحسب الإنسان أن

يترك سدى " الآية ،قال الشافعي :لا يؤمر ولا ينهى...

ولهذا أرسل الله الرسل وأنزل الكتب لبيان الطريق الموصلة إليه سبحانه ....

ثم رتب الجزاء على ذلك وهذا مستفاد من الآية المذكورة ....

الثانية :أن الله لا يرضى أن يُشرك معه أحد من عبادته ، لا ملك مقرب ولا نبى مرسل ،

والدليل قوله تعالى " وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً " الجنَّ....

هذه المسألة من لوازم المسألة الأولى،لما كان الله سبحانه هو الرب الذى خلق

ورزق وأنعم وتفضل كان لزاماً هو المستحق للعبادة بلا شريك ....

فالتوحيد أنواعه متلازمة، لا ينفك نوع منها عن النوعين الآخرين ....

قال الإمام:"أنَّ اللهَ لا يَرْضَى" وأنَّ تفيد التوكيد وهذا الأسلوب فى العربية للمتردد والشاك والمكذب ،

وقد استخدم الشيخ ذلك لأن غالب أحوال أهل زمانه ما بين التردد والشك والتكذيب ...

وهذه مراعاة منه "رحمه الله" لواقعه ، وهكذا يجب أن يكون العالم بصيرا بأحوال قومه..

" لا يرضى " أي يسخط ، وصفة الرضا متعلقة بالمشيئة لأنها صفة فعلية ،

والصفات الفعلية تتعلق بمشيئة الله سبحانه وهذا ضابط لأهل السنة ..

والرضا صفة قائمة بذاته سبحانه لازمها المحبة والعطاء وليست هي المحبة ...

قال تعالى " وإن تشكروا يرضه لكم " الزمر(7)....

فالله تعالى يرضى لعباده أن يشكروه ويعبدوه بلاشريك وهذا يتعلق بالمشيئة الشرعية ،

وإن كفروا به لا يرضاه لهم، ولكن وقوع الكفر يتعلق بالمشيئة الكونية ،

أي: أنه وقع في كونه بعلمه وتحت سمعه وبصره، وذلك لحكمة يعلمها تترتب على وقوعه،

وإن كان لا يرضاه شرعاً ، ففرقٌ بين المشيئة الشرعية والمشيئة الكونية ...

قال:" أن يُشرك " أن والفعل بعدها تؤول بمصدر تقديره: إشراكاً، أي:

لا يرضي إشراكاً به ، وهو نكرة تفيد العموم أي لا يرضى بالشرك أياً كان نوعه...

وقد ورد في الحديث الذي رواه البخاري " أنا أغنى الشركاء عن الشرك ،

من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه " الحديث ....

والشرك لغة : هو النصيب، يقال: أشرك زيدٌ عمراً في الشيء، أي:جعل له نصيباً فيه،

وشرعاً : " أن تجعل لله نداً في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات " ..

إذن :الشرك متعلقٌ بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات ....

وقد يكون شركاً أكبر وقد يكون شركاً أصغر ..

ومراد المصنف "رحمه الله " الشرك في الألوهية لعموم البلوى به في زمانه ...

وقوله " أحدٌ " نكره تفيد العموم أي لاملكٌ مقرب ولا نبيٌ ولا مرسلٌ ولا جنٌ ولا إنس،

ولا شجر ولا حجر، قال تعالى: " وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً "الجنَّ..

أي: هي بيوته التي بُنيت لعبادته وطاعته فلا تدعوا أحداً دون الله عز وجل

في بيوته ، كما يفعله عباد القبور من إقامة الأضرحة والمشاهد في بيوت الله سبحانه

وعبادة غيره فيها ،وقد حذر رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك،

ففي البخاري " لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد " ،

فالشرك كله محرم لايرضاه سبحانه من عباده ..

الثالثة: " أن من أطاع الرسول ووحد الله لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله ،

ولو كان أقرب قريب والدليل قوله تعالى: " لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر

يوادون من حاد الله ورسوله. ولو كانوا ءابائهم أو إخوانهم أو عشيرتهم .

أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه. ويدخلهم جنات تجري من

تحتها الأنهار . خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه . أولئك حزب الله

. ألا إن حزب الله هم المفلحون "المجادلة ......

هذه المسألة تتعلق بالولاء والبراء ، وهو أصل من أصول الإيمان كما في حديث

ابن مسعود أنه صلي الله عليه وسلم قال :

" أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله "رواه أبوداود ....

قال المصنف:" من أطاع الرسول " من شرطية تفيد العموم ، فتعم كل مكلف من الجن

والإنس ، وهل هو مرسل إلى الملائكة فيه خلاف بين العلماء ....

" أطاع " الطاعة هي " موافقة أمر الشرع بفعل المأمور وترك المحظور " ...

وتكون على جهة الإختيار وضدها المعصية وهي " مخالفة أمر الشرع اختياراً " ....

" الرسول " أل هي العهدية والمراد العهد الذهني لأن المعهود مصاحب

للذهن بين المتكلم والمخاطب،والخطاب هنا موجه لأمة الدعوة والإجابة سواءً،

وأمة الدعوة " تشمل كل من أرسل إليهم صلى الله عليه وسلم " وأمه الإجابة "

كل من أطاعه صلى الله عليه وسلم وسار على شريعته " ....

وطاعته صلى الله عليه وسلم بتصديقه فيما أخبر والإنتهاء عما نهى

عنه وزجر، وهذا هو مفهوم الاتباع ، وطاعته صلى الله عليه وسلم مستلزمة

لطاعة الله عز وجل، لأن طاعته صلى الله عليه وسلم ليست لذاتها بل هي

طاعة لله عز وجل وكذلك محبته ليست لذاتها بل هي من لوازم محبة الله عز وجل..

" ووحد الله " أي بعبادته وحده بلا شريك، والتوحيد لغة :

مصدر وحَّد يوحد توحيداً فهو من الإفراد وهو ضد الشركة، وشرعاً:

" إفراد الله بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات " فهذه الثلاثة متلازمة

لا يكون توحيد بدونها مجتمعة ...

" لا يجوز له موالاة " نفي الجواز يقتضى الحرمة والمعنى على هذا : يحرم عليه ..

وأما أن يكون المعنى لا يباح له فهذا محتمل ويكون على جهة الحرمة ...

ومن الذي يحرم عليه ؟ الجواب : الموحد ، يحرم عليه موالاة الكافرين، أي:

لا يتخذ الكافر ولياً فيواكله ويشاربه و يتودد إليه و يناصره ...

و"الموالاة" مُفاعلةٌ، من الولاية بمعنى: المحبة والنصرة ومستقرها القلب،

ثم تنبعث على الجوارح...

قال: " لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله "..

أي: يحرم عليه محبة المشركين والكفار، لأن أصل الدين هو الدخول في

" لا إله إلا الله " وهذا يقتضي محبة التوحيد وأهله وبغض الشرك وأهله ،

فحينئذ: من والى الكافرين فقد نقض أصل الإيمان واستحق أن ينفى عنه الإيمان ...

" الموالاة " أصل الموالاة من الولْي - بسكون اللام – وهو القرب والدنو،

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم للغلام " كُلْ مما يليك " أي مما قرب منك،

ووالى بين شيئين تابع بينهما بلا تفرقة ومنه الموالاة من الوضوء أي:

المتابعة بلا تفرقة ، فأصل الموالاة القرب والمتابعة ...

قال الزبيدي في تاج العروس : الموالاة هي المحبة، وتولَّى فلان فلاناً :

أي اتبعه وأطاعه وتقرب منه ونصره، فالموالاة بمعنى المحبة والصداقة،

وكل ما يقرب من المشركين داخل في الموالاة ...

" من حاد الله ورسوله " والمراد به الكافر سواء كان كافراً أصلياً كاليهود

والنصاري والمجوس، أو كافراً مرتداً كالعلمانيين والقوميين والإشتراكيين

والوطنيين وأمثالهم لا فرق بينهم ....

وقوله " حآدَّ " من الحد أو الحديد، والمؤمن في حد الإيمان والكافر في

حد الكفر وهذه مفاصلة بينهما، وقيل من الحديد كناية عن آلة الحرب،

فليس بين المؤمنين والكافرين إلا الحديد أي الحرب، وهذا لا يصدق إلا على الكفار

الأصليين والمرتدين والمنافقين نفاقاً اعتقادياً، أمام المسلم العاصي فمعه أصل المحبة

والنصرة فيخرج من ذلك إجماعاً ...

" ولو كان أقرب قريب " أي نسباً ، فالكفر تنتفي معه القرابة والمودة والمحبة،

فإن ذلك ينبني على الإيمان والتوحيد ولهذا قال صلى الله عليه وسلم:

" أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله "...

و طريقة أهل السنة والجماعة أن تكون أقوالهم مبنية على أدلة الكتاب

والسنة الصحيحة لا مجرد أهواء وآراء لأن الله عز وجل هو صاحب

الشرع ، فلا تؤصل الأصول إلا بقوله عز وجل وقول نبيه صلى الله عليه وسلم ...

لهذا استدل الإمام بأية المجادلة المذكورة أعلاه....

" لا تجد " نفيٌ بمعنى النهي، وهو أبلغ وأشمل لأنه لم يشتمل على زمن يقيد

الحكم بوقت فيخص قوماً دون قوم ...

" قوما " نكرة في سياق نفي تفيد العموم، وهو اسم جمع لا واحد له

من لفظه يشمل الأقربين والأبعدين ...

" يؤمنون بالله واليوم الآخر " أي صادقين في إيمانهم يوادون الكافرين،

فهما لا يجتمعان، وهل المقصود الإجتماع أصلاً ؟ أم التمام والنقص

بالنقص ؟ الجواب : الثاني فمن كان إيمانه تاماً فلن يجتمع أصلاً ،

ومن نقص إيمانه فسيجتمع بحسب النقص ...

" لا تجد قوماً " أي يا محمد، فالخطاب له صلى الله عليه وسلم،

لكنه للأمة بعده ولا يقال بالخصوصية إلا بالدليل كالوصال ...

وفي الآية نص على الإيمان باليوم الآخر لأهميته ولماله من الآثار التي

ينزجر بها العبد عن كل ما حرَّم الربُّ جلا وعلا ...

" آباءهم " والمراد الأصول وإن علت، " وأبنائهم " الفروع وإن نزلوا ..

" وإخوانهم " هم الأعوان الذين ينصر بهم ، " أو عشيرتهم " ما يتكثر بهم ...

" أولئك " أي المذكورون ، " كَتَبَ " الكَتْبُ يدور حول الجمع والضم،

أي: جمع الإيمان في قلوبهم وثبته وجعله ثابتاً راسخاً ...

قال الطبري : قضى لقلوبهم بالإيمان،"و أيدهم بروح منه " أي قواهم ببرهان

ونور وهدىً، أي: وفقهم وسددهم، وقال ابن عباس : بنصر منه ...

" خالدين " أي: ماكثين، والخلود هو المكث الطويل ولذلك في آية القتل

" ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جنهم خالداً فيها " أي يمكث فيها طويلا

ً ولا يدل على الخلود المؤبد ، لآن اللفظ يدل في لغة العرب على طول المكث ...

" رضي الله عنه ورضوا عنه " فيه سرٌ بديعٌ وهو:

أنهم لما أسخطوا أقاربهم إرضاء لله عز وجل أعطاهم رضاه والجزاء

من جنس العمل ، ذكره ابن كثير بمعناه ...

" أولئك حزب الله " أي خاصته وأولياؤه وقد أضافهم له إضافة تشريف ...

" ألا " حرف تنبيه .....

" إنَّ حزب الله هم المفلحون " إنَّ حرف توكيد ونصب، وحزب اسمها

وخبرها المفلحون ووقع بين إسم إن وخبرها ضمير الفصل لإفادة التوكيد،

والمعنى أولئك هم أهل الفلاح لا غيرهم و " الفلاح" أجمع كلمة تدل على

الخير في لسان العرب ...

والآية دليل على حرمة موالاة الكافرين....

والموالاة اسم عام يشمل كل ما يصدق عليه أنه موالاة للكافرين، ومنها ما

يكون كفرا، ومنها ما لايكون كفرا، ولهذا قسم العلماء الموالاة إلى قسمين :

موالاة كبرى أو التولي أو الموالاة المطلقة والثاني موالاة صغرى ...

موالاة كبرى وتسمى الموالاة المطلقة والعظمى وتسمى التولي والمظاهرة ،

وهذه مخرجة من الدين إذا وجدت في مؤمن خرج من الدين وهي أربعة أنواع .

1 ـ محبة الكفار لدينهم ، اللام تعليلية، فأحبهم لأجل دينهم مثل محبة الهندوس

والرافضة وغير ذلك فهو أحب دينهم ودليله حديث أبي مالك الأشجعي رواه مسلم :

" من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله تعالى " الشاهد : " وكفر بما يعبد " فهو شرط أن يكفر بما يعبد من دون الله، هذا أول الأقسام في الكفر وهي محبة الكفار من أجل دينهم فالنتيجة أنه أحب دينهم ومن أحب دين الكفر فهو كافر مثل من يحب العلمانيين لأنهم على العلمانية ويحب الديمقراطيين من أجل الديمقراطية ويحب البرلمانيين من أجل أنهم برلمانيون ويحب القوميين من أجل القومية فهذا والى الكفار ويعتبر كافرا مثلهم .

ويدل عليه قوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء" .

2 ـ أن ينصر ويساعد الكفار على المسلمين كالذي يعين اليهود على المسلمين في فلسطين ، أو يعين الأمريكيين على المسلمين في أفغانستان وأمثال ذلك ، ويدل عليه الآية السابقة وهؤلاء ساعدوهم بالمال والعتاد والدعم ، والمساعدة : اسم جامع شامل للمساعدة في الجاه والمال وكونه جنديا معهم وغيرها .

3/ 4 ـ موالاة الموافقة والمتابعة : ومعناها أن يتابعهم على كفرهم وأن يوافقهم على كفرهم ومنها أيضاً أن يمدح مذهبهم أو يصحح مذهبهم . مثل :

كأن يحتاج إلى مساعدة الكفار فيثني عليهم مثلاً إذا كانوا شيوعيين أو يريد أن يجامل الغرب فيثني على الديمقراطية فهذه تعتبر موالاة مكفرة وقد ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب في رسالة أرسلها إلى أحد علماء بلدة ثرمدا قال فيها :

لو أن أحدا في بلاد المغرب (أي يقصد المسلمين) ظلمه السلطان (ويقصد بذلك الدولة العثمانية) فقام أهل المغرب واستنجدوا بالإفرنج وقال الإفرنج لا نساعدكم حتى تمدحوا ديننا فقام ومدحهم فقد كفر ،مع أنهم لم يطلبوا من أهل المغرب ترك الإسلام ومع أن أهل المغرب مظلومين ومع ذلك كفروا بهذا المذهب .

والكفر هنا يسمى كفر التولي وقد ألف الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد

الوهاب كتابا اسمه (الدلائل) وموضوعه عن الموالاة وهو موجود في مجموعة التوحيد ألفه الشيخ لمّا قام بعض الأعراب من سكان نجد يساعدون الحملة المصرية لمّا جاءت لمحاربة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأهلها فساعدتها بعض القرى فكفر الشيخ هؤلاء الذين ساعدوهم وكان كفرهم كفر تولي ومساعدة وموافقة .

وبعد مدة ألف الشيخ حمد بن عتيق : رسالة اسمها : الفكاك وهي موجودة في مجموعة التوحيد تتكلم عن الموالاة ومظاهرة المشركين ألفها لما جاء الأتراك يريدون الاستيلاء على الأحساء فساعدهم بعض الناس وكانت الدولة العثمانية في عصر تلامذة الشيخ محمد بن عبد الوهاب كانوا يطلقون عليها الكفر بسبب تشجيعها لعبادة القبور وتبنيها عبادة القبور ووجود الأنظمة القانونية فيها فكفر الشيخ حمد من ساعد الأتراك أو ظاهرهم أو أعانهم أو وافقهم .

الموالاة الصغرى ، لا لأنها من الصغائر لكن للتفريق بينها وبين الكبرى وهي من باب التعريف لأن كل شيء له أكبر فله أصغر ولا يفهم منها أنها ليست ذنبا.

ضابط الموالاة الصغرى : كل ما يؤدي إلى توقير الكفار واحترامهم وتعظيمهم، بشرط بغضهم ومعاداتهم وتكفيرهم وعدم توليهم .

مسألة : أمثله للموالاة الصغرى : منها : 1- تصديرهم المجالس . 2- إكرامهم .

3- زيارتهم زيارة أنس . 4 - اتخاذهم عمالاً وسائقين وخدما في البيوت لاسيما في جزيرة العرب .5- إفساح الطريق لهم . 6- بداءتهم بالسلام والتحية .

7- تهنئتهم بأفراحهم ، والمقصود بالأفراح الدنيوية، أما أفراحهم الدينية فهذه من الكفر لأنها تدل على رضائك بدينهم .

وهذه بعض أنواع الموالاة الصغرى ، حكمها أنه قد أتى صاحبها بكبيرة من كبائر الذنوب ، والدليل على ذلك " إنكار عمر بن الخطاب رضي الله عنه على أبي موسى الأشعري

لما جعل له كاتبا نصرانياً وتلا عمر على أبي موسى :

" يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء" .

يستثنى من الأمور السابقة :

أن تزورهم أو تهدي إليهم من أجل دعوتهم والدليل ما جاء في الصحيح من حديث سعيد بن المسيب عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم زار عمه أبا طالب، هذه الزيارة دعوة إلى التوحيد ولا مانع من ذلك ، وزار عليه الصلاة والسلام ابن اليهودي " فأسلم " رواه أحمد.

ويجوز في حالة الضرورة فإذا اضطر المسلمون إلى استقدام عمال كفار، وليس هناك مسلم يقوم بهذا العمل جاز ، أما السلام فلا يجوز أن تبدأهم من أجل الدعوة ..

والدليل قوله " لا تبدءوا اليهود والنصارى بالسلام " ويجوز الرد ومثله المصافحة .

ويجوز أن يقول: " السلام على من اتبع الهدى " هذه جائزة الابتداء بها جاءت في قصة موسى عليه السلام كما قال لفرعون " والسلام على من اتبع الهدى " وكذلك .

أما لو سلم العلماني أو النصراني فلك أن ترد بقولك عليكم ، آما الابتداء فممنوع والمصافحة مثل الابتداء بالسلام والمصافحة سلام عملي فلا تبتدئه لكن لو صافحك فلك أن ترد أما إذا كان هناك كافر مختلط بمسلمين فلك الابتداء وتقصد المسلمين .

* * *

قال الأمام محمد بن عبد الوهاب :

اعلم أرشدك الله لطاعته :أن الحنيفية ملة إبراهيم، أن تعبد الله مخلصاً له الدين، وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها كما قال تعالى :

(وما خلقت الجن والإنس إلاّ ليعبدون) ومعنى يعبدون : يوحدون

وأعظم ما أمر الله به التوحيد، وهو إفراد الله بالعبادة،

وأعظم ما نهى عنه الشرك وهو : دعوة غيره معه ؛

والدليل قوله تعالى : (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً) ..

الشرح:قال المصنف: " اعلم أرشدك الله لطاعته "، هذه هي المقدمة الثالثة..

" اعلم " كسابقتها ، يؤتى بها للتنبيه على أهمية ما بعدها ...

" أرشدك الله لطاعته " فيه تلطفٌ مع طالب العلم ،وقوله :" أرشدك " فيه

إشارة إلى أنَّ العلم يحتاج إلى من يُرشد عنه، وهذه مهمة الأنبياء والمرسلين،

ومن قام في الناس مقامهم،وهذا الإرشاد يسمى " هداية الدلالة "..

و المعنى:" دلالة الناس إلى ما فيه صلاحهم وفلاحهم "،

كماقال سبحانه"وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم"ابراهيم(4)،

أي: إلا ليرشدهم إلى ما فيه خير الدين والدنيا، والمراد توحيد الرب جل وعلا .

وهناك " هداية التوفيق " وهي الاستجابة لأمر الله عز وجل والخضوع له "..

وهي عزيزة في الخلق لا يؤتاها إلا من رحم الله عز وجل، وهي المذكورة

في قوله سبحانه " إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء "القصص(56)..

" أرشدك " من الرشاد، وهو " الاستقامة على طريق الحق "، وضده الغيُّ،

وهو الضلال، والمعني : أي هداك إلى طريق الحق علماً وعملاً،

وإليه أشار سبحانه " ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم.وكره

إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون "الحجرات(7) ....

" لطاعته "أي: إلى طاعته،والطاعة أعم من القربة عند الحنابلة ،

و"القربة " فعل المأمور وترك المحظور بنية التقرب إلى الله جل وعلا،

إذن يشترط لها النية،فإن خلت عن النية سُميت طاعة، كالنفقة على الزوجة

والعيال، فهذه طاعة لله عز وجل لكن لا يشترط لها نية ...

و الطاعة : موافقة أمر الشرع بفعل المأمور و ترك المحظور،

فموافقة أمر الشرع يعني: الامتثال ، أن يمتثل الأمر بالتنفيذ..

سواءٌ كان أمر إيجاب أم استحباب ...

.قال: " أنَّ الحنيفية ملة إبراهيم "، أنَّ حرف توكيد ونصب والحنيفية

اسمها وملة عطف بيان ويجوز أن تكون بدلاً وخبر أنَّ المصدر المؤول

من أنَّ والفعل بعدها " أن نعبد الله " أي عبادة الله ....

" الحنيفية " نسبة إلى الحنيف مأخوذ من الحنف بمعني الميل يقال:

فلان فيه حنف أي ميل، والحنيفية هي: " الميل عن الشرك إلى التوحيد "،

ويقال هي " الميل عن الشرك قاصداً إلى التوحيد مع الثبات عليه " وإليه أشار ابن القيم ...

" ملة إبراهيم " إضافة تفيد الاختصاص أي: ملة لإبراهيم عليه السلام ..

وقد اختصه الله بها لأنَّه خليله سبحانه، ولأنَّه أبو الأنبياء ولأنها قد جاءت

في القرآن منسوبة إليه عليه السلام : " اتبعوا ملة إبراهيم "آل عمران (96) .

و هذه الملة الحنيفية قال الله عنها " ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه

نفسه.ولقد اصطفيناه في الدنيا. وإنه في الأخرة لمن الصالحين.إذ قال له ربه

اسلم.قال أسلمت لرب العالمين " آل عمران ....

و النبي صلى الله عليه وسلم جاء إلى قوم متعددين ، كلٌ منهم يزعم أنه

على ملة إبراهيم عليه السلام ،فقريش تدعيها، واليهود والنصارى يدعونها،

كما حكى سبحانه عنهم" ما كان ابراهيم يهوديا و لا نصرانيا . ولكن كان حنيفا مسلما.

و ما كان من المشركين .إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه و هذا النبي والذين

آمنوا .والله ولي المؤمنين" آل عمران (6867)..

الملة: قال أهل العلم بمعنى الدين، هذا من جهة الاصلاح، و أما في اللغة

فهي مأخوذة من الملل و هو التكرار والمعاودة، يقال: طريقٌ مليل ،

إذا تكرر سلوكه ، و منه الملل الذي يعتري النفس بسبب تكرار الشيء عليها.

إذاً: سُميت ملة فلآنَّ إبراهيم عليه السلام كان يكرر دعوته لقومه من غير

أن يمل تكرارها ...

و أما المراد بها في الشرع فهي الطريقة و الشرعة و النحلة و الدين،

و ملة إبراهيم أي : دينه وهو ما بعثه الله به من توحيد الله و ترك الشرك..

قال" أن تعبد الله وحده" ، حينئذ خلاصتها :عبادة الله بالإخلاص...

و بهذا جمعت أمرين : عبادة مع إخلاص ، وعدم العبادة يكون مناقضا لملة إبراهيم،

و عبادة مع عدم الإخلاص و صرف بعضها لغير الله مناقضة لملة إبراهيم ،حينئذ نقول :

اليهود والنصارى و المشركون لم يتبعوا ملة إبراهيم بل نقضوها ...

قال" أن تعبد الله " يعني: عبادة الله تعالى ، و عبادة هذه مصدرٌ للفعل الماضي

عبد ، يقال : عبدَ يعبدُ عبادةً ، و العبادةُ في اللغة : التذللُ والخضوعُ ...

ولهذا قال الجوهري:العبادة تدور حول أصل واحد وهو: الذلُ والخضوعُ...

و أما في الشرع : فالعبادة مصدر ، والمصدر قد يُطلق ويراد معناه ، و قد

يُستعمل في غير معناه ، و قد جاء في الشرع بكلاهما ...

و لذلك اختلفت عبارات العلماء في تعريفها ، فبعضهم عرَّفها باعتبار أنها

مصدر ويراد بها التعبد ،و التعبد هذا هو فعل الفاعل ، و بعضهم عرَّفها

بالمعنى الإسمي و أراد الشيء الذي نتعبد به ، فالصلاة و الزكاة و الحج

هذه كلها عبادات ،و المراد كل ما نسميه عبادة ..

فمنهم من نظر إلى فعل الفاعل ففسرها به ، و منهم من نظر إلى الشيء

الذي نتعبد به ففسرها به ،فعلى المعنى الأول و هو المصدري فالعبادة هي :

غاية الحب و غاية الذل ،و لا يكفي أصل الحب والذل ، بل لا بد من

تمامهما كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية "رحمه الله "في رسالة العبودية ،

و قال ابن كثير : "العبادة :هي عبارة عمَّا يجمع كمال المحبة و الخضوع و الخوف "

ثم قال مفسرا كلامه : لأن الحب الكامل مع الذل التام يتضمن طاعة

المحبوب و الانقياد له ،و لهذا عرَّ فها الشيخ ابن عثيمين بقوله :

العبادة هي " التذلل لله محبة و تعظيما ،بفعل أوامره و ترك نواهيه

على الوجه الذي جاءت به الشريعة "أهـ.

و أما العبادة بالمعنى الإسمي فهو ما أشار إليه شيخ الإسلام بن تيمية بقوله :

"العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله و يرضاه من الأقوال و الأعمال الظاهرة

و الباطنة "، و معنى كلامه : أن العبادة اسم من جهة اللفظ ، هذا الإسم له

مفهوم و معنى يراد به، فكل قول و كل فعل يرضاه سبحانه و يحبه يكون

عبادة ، مثل الصلاة و الصيام و الحج ، هذه أفعال يحبه الله ويرضاها ،

ومنها أعمال القلوب كالخوف والرجاء و الحب و الذل والخشوع ، كلها

تدخل في المعنى المراد ،و هذا أيضًا ورد في كلام ابن كثير فقال :

"العبادة : طاعة الله تعالى بامتثال ما أمر على ألسنة الرسل "أهـ.

حينئذ : العبادة يراد بها التعبد و هو فعل الفاعل ، و يراد بها الشيء

المُتعبد به ، و كلاهما دلَّ عليه الشرع ....

" أن تعبد الله وحده " هذه العبادات سواءٌ القلبية أو الظاهرة قد يعبد الله بها

وحده، وقد يُشركُ بها غيره معه ولذلك قال " وحده " أي منفرداً ...

وهذا هو الإخلاص وهو ملة إبراهيم ، وأكده بقوله " مخلصا "،

وهو اسم فاعل حال أي: أن يكون حالك على الإخلاص ، والإخلاص

أن يكون الشئ صافياً من الشوائب كذا قال أهل اللغة ،إذا قيل هذا لبن خالص

أي لم يشبه شئ ، فالعبادة إذا لم يشبها شئ من أمور الشرك

وحظو ظ النفس كانت خالصة لله سبحانه ...

"مخلصًا له الدِّين " ،أي العمل ،فالدين هنا العمل،و بهذا فملة إبراهيم

هي : عبادة الله وحده مع ترك الإشراك به ، و النبيُّ صلى الله عليه وسلم

جاء مجددا لهذه الملة و داعيا إليها ،و بهذا نعلم أنَّ أغلب الخلق فارقوا

هذه الملة الحنيفية ،و ادعاؤهم لها ادعاءٌ كاذب ...

قال المصنف:" وبذلك أمر الله جميع الناس و خلقهم لها "...

"بذلك" أي :بالعبادة الخالصة لله وحده وترك الشرك ...

"أمر" أوجب على الخلق ،بل هو أوجب الواجبات و أولها ،

"جميع الناس" مؤمنهم و كافرهم ،و لو قال "الخلق" لكان أحسن

ليدخل فيه الجنَّ و الملائكة، و جاءت النصوص بذلك موضحة له

داعية إليه ، قال تعالى " و ما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي

إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون " الأنبياء (25)..

" وخلقهم لها" أي : خلق الجن و الإنس للعبادة ..

كماقال تعالى " و ما خلقت الجن و الإنس إلا ليعبدون " الذاريات ..

و يعبدون : يوحدون، فالعبادة يراد بها التوحيد ، و لهذا قال ابن عباس:

كل موضع في القرءان "اعبدوا الله " يعني: وحَّدوه ..

فالعبادة لا تأتي إلا و هي مقرونة بترك الشرك ، كقوله تعالى :

" اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا " النساء، فلما أمر بها و قرنها

بترك الشرك ،دل على أنها لا تصح إلا بترك الشرك ، فترك الشرك

شرط في صحة العبادة بالإجماع ، و لهذا فسر ابن عباس قوله تعالى :

" إياك نعبد" أي: إياك نوحد ، وقد حكاه الطبري في تفسيره...

"إلا ليعدون" قال على بن أبي طالب : إلا لآمرهم أن يعبدوني و أدعوهم لعبادتي و اختاره شيخ الإسلام بن تيمية ، و هو أعم من تفسير ابن عباس، لأنَّ ابن عباس فسَّر العبادة ببعض أفرادها و هو التوحيد ، و عليٌ فسَّرها بكل أفرادها ، فكان أشمل و أعم ...

قوله تعالى : " و ما خلقت الجن و الإنس إلا ليعبدون " الذاريات،

" وما " هي النافية حرف مبني على السكون لا محل له من الإعراب،

" خلقت " فعل ماض مبني على السكون والتاء ضمير متصل مبني الضم في محل رفع فاعل، " الجنَّ " مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة ،" والإنس " حرف عطف ومعطوف، " إلا " أداة استثناء،

" ليعبدون " اللام للتعليل، حرف مبني على الكسر لا محل له من الإعراب، ويعبدون مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام وعلامة نصبه حذف النون الأولى، والنون الثانية للوقاية وحذفت الياء وهي لغة، وما وإلا تفيدان الحصر والقصر وهو: " إثبات الحكم في المذكور ونفيه عما سواه " أي: ما خلقت الجن والإنس لأي شيء إلا للعبادة...

قال المصنف:" و أعظم ما أمر الله به التوحيد و هو : إفراد الله بالعبادة "..

أي: وأعظم ما أمر الله به هو التوحيد وإن كانت كل أوامره عظيمة ، ولماذا كان التوحيد هو أعظم أمر ؟ الجواب : لإن العبد لا يدخل في الإسلام إلا بالتوحيد، ولا يخرج من الإسلام إلا بضده وهو الشرك ، ولإنَّ صلاح القلوب لا يتم إلا بأن تعرف القلوب ربها وخالقها وهذا

هو التوحيد ولهذا كان التوحيد هو دعوة الأنبياء والمرسلين .

والتوحيد: مصدرٌ ثلاثي مضعف العين و هي الحاء،

ُيقال وحَّد يوحدُ توحيداً، و التوحيد باعتباره مصدراً فهو يدل على فعل

الفاعل، وهو مشتق من الوحدة وهي الإنفراد، نقول: جاء الرجل وحده:

أي: منفرداً ، وفلان لا واحد له، ووحيد دهره: أي لا نظير له ...

والتوحيد في اللغة : جعل الشئ واحداً ،و لهذا قال المشركون :

" أجعل الآلهة إلها واحداً "ص(5)، يعني: نتبرء من كل آلهتنا و نتوجه لإله واحد،

قالوا ذلك تعجبا و استنكارا لدعوته صلى الله عليه وسلم لهم بذلك.

والتوحيد على وزن تفعيل ، و هذه الصيغة تدل على النسبة ،

نسبة الشيء لصفة ما ، وحَّدت الله أي: نسبته إلى الوحدانية لأن

الوحدانية صفة لا بفعل فاعل ، و لذلك فالوحدانية صفة أزلية قائمة

بذاته سبحانه ، و ليست بجعل جاعل و لا بفعل بفاعل ، و إنما أنا

و أنت نعتقد الصفة في قلوبنا ، فهو واحد سبحانه أزلاً لا بجعل جاعل.

ويقال: الله الواحد الأحد أي المتفرد بالذات والصفات في عدم المثل والنظير،

وأما في الشرع : فهو " اعتقاد أن الله واحد لا شريك له "، والاعتقاد افتعال

من العقد وهو الربط ومدار المادة على اللزوم والتأكيد والاستيثاق وهذا

يكون بقصد القلب وعزمه ولابد فيه من الجزم لأنه لا توحيد إلا بجزم ...

والاعتقاد يكون بالقلب وله متعلق يخص ذات الرب جل وعلا ...

" أن الله واحد لا شريك له " أي منفرد بالوحدانية، لا يشركه في ذلك أحد،

وإذا كان متعلق القلب ربوبية الله سبحانه كان توحيد الربوبية ،

وإذا كان متعلقه ألوهية الله سبحانه كان توحيد الألوهية، وإذا كان متعلقه

الذات وما تتصف به وما تنزه عنه كان توحيد الأسماء والصفات ...

ومن هنا انقسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام وهو تقسيم شرعي وليس

إصطلاحياً ، وقام إجماع السلف عليه ومستند الإجماع التتبع والإستقراء ...

وقد أثبت ابن تيمية وغيره أن التوحيد يخص في هذه الأقسام الثلاثة ...

والرسل إنما بعثت بالأنواع الثلاثة وإن كان النزاع في الألوهية..

وماذا قصد المصنف هنا بالتوحيد ؟ الجواب : قصد التوحيد بمعنى:

الألوهية والدليل هو ما عرفه به فقال وهو " إفراد الله بالعبادة " ...

ويقال توحيد الألوهية وتوحيد العبادة وتوحيد الطلب والقصد ...

والألوهية مصدر، ويقال: الإلهية هذه نسبة، وكلاهما صحيح لغة،

ومستعمل اصطلاحاً ،وهما مأخوذان من التأله وهو التعبد، بل أعلى

مراتب التعبد هو التأله :

لله در الغانيات المده سبحن و استرجعن من تألهي : أي تعبدي

فالألوهية هي العبودية، وإذا نظرنا إلى ذات الرب جل وعلا قلنا ألوهية،

من باب إ ضافته إلى الله جل وعلا ، وإذا نظرنا إلى العباد قلنا توحيد

العبادة أو العبودية ، إذًا الأمر فيه قائم على متعلقه إذاكان التعلق بذات

الرب قلنا ألوهية أي كونه مألوهاً معبوداً ، وإذا نظرنا إلى أفعال العباد قلنا

عبودية وعبادة ،و هذا التوحيد يقتضى أمرين :

أحدهما التوجه إلى الله سبحانه بالعبادة ، والثاني : معرفة ما هي

العبادة التي نتوجه بها إلى الله عز وجل ...

قوله " إفراد " هذه الكلمة تتضمن إثبات العبادة لله عز وجل ونفيها

عما سواه ، لأنَّ التوحيد يقوم على النفي و الإثبات ،و الإفراد حقيقته

النفي و الإثبات ،ولا يكون إثباتا محضًا و لا نفيًا محضًا...

قال الإمام :" وأعظم ما نهى عنه الشرك "...

يعني:الشرك أعظم الذنوب التى حرَّمها الله تعالى ،

و لماذا ؟ الجواب : لأنَّه يكون سببًا لزوال و صف الإسلام في

الدنيا ،و الخلود في النار يوم القيامة،و لهذا فهو أعظم الذنوب..

والشرك في اللغة : النصيب ، يقال شَرَكه في كذا إذا جعل له نصيباً،

وكذلك من معاني الشرك: التسوية،قال ابن منظور في لسان العرب:

يقال طريق مُشَرَّك : أي يستوي فيه الناس ، واسم مُشتَرَك :

تستوي فيه معان كثيرة،وأشرك بالله : جعل له شريكاً..

وعرفه الإمام بقوله: " وهو دعوةُ غيره معه "...

وهذا هو الشرك الأكبر وهو مراد الإمام"رحمه الله".

والشرك نوعان : شرك أكبر وشرك أصغير ...

وقوله " دعوة غيره " والدعوة قسمان :

دعوة مسألة،وهي المصدرة بـ " يا " يا الله ارحمنا،أغثنا،ارزقنا، ولا يقال يا بدوي

ودعوة عبادة : وهي طلب العفو والرضوان وذلك بفعل ما يحبه ويرضاه واجتناب

ما يسخطه وكلاهما طلب،طلب لحوائج الدنيا وطلب لحوائج الآخرة ..

وبعضهم عرَّفه بأنَّه " اتخاذ النَّد مع الله جل وعلا،، وهذا أوفق وأحسن

لأنه موافق للتنزيل كما قال سبحانه " فلا تجعلوا لله أنداداً "البقرة، يعنى:

شركاء تسوون بينهم وبينه سبحانه فتدعونهم كما تدعونه ...

وقد سُئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أكبر الكبائر فقال:

" أن تجعل لله نداً وهو خلقك "،إذًا الشرك في الشرع هو " اتخاذ الند "،

والتوحيد أمر شرعي ينبغي التعويل في بيان حقيقته على مراد الشرع ،
أي: الكتاب والسنة وليس كغيره من الأمور التي يُعول فيها على الحقائق
اللغوية والعرفية،وأما الشرك الأصغرفهل يُعرَّف أو يُقال هوألفاظ منصوص
عليها ؟ الصحيح أن ُيقال " هو ألفاظ منصوص على أنها من الشرك الأصغر "،
كالحلف بغيرالله ويسير الرياء وقول ما شاء الله وشئت، والتعريف المشهور
أنَّه : " كلُّ ما نهى عنه الشرع وجعله ذريعة إلى الشرك الأكبر وجاء
منصوصاً عليه أنه شرك "، هذا ضابطه المشهور عند العلماء ...
ومن الفوارق بينهما أن الأكبر يُحبط العمل كله، ولا يغفرلصاحبه
و يخلد به في النار، والأصغر يحبط العمل المتعلق به فقط وصاحبه تحت
المشيئة ولا يخلد به في النار، والشرك هضم للربوبية وتنقص للألوهية و سوء
ظن برب العالمين، وذلك لأنه سبحانه الرب المدبر المعطي المنعم على خلقه
ولهذا استحق أن يُعبد فإذاعبد الخلق غيره كان ذلك هضماً لحق الربوبية ،
وتنقصا للألوهية لأن الشرك تسوية وتسوية الخالق بالمخلوق انتقاص لقدره ،
ولهذا كان الشرك بالله أعظم الذنوب...

قال الإمام : " و الدليل قوله تعالى: واعبدوا الله و لا تشركوا به شيئا"النساء(36)..

فأمر سبحانه بالعبادة و نهى عن الشرك به ، و هذا يتضمن إثبات العبادة له وحده،
فمن لم يعبد الله فهو كافر مستكبر ، و من عبد الله تعالى و عبد معه غيره فهو
مشرك ، و من عبده وحده فهو المسلم الموحد ...

* * *

بعد هذه المقدمات الثلاث التي أجمل فيها الإمام " رحمه الله " أهم
الأصول الدينية التي بها نجاة العبد ، شرع في بيان الأصول

الثلاثة الواجبة اعتقادها على كل مسلم أو مسلمة ...

وهذه الأصول قد ذكرها إجمالاً في المقدمة الأولى ...

قال " رحمه الله " إعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل :-

الأولى : العلم وهو " معرفة الله ومعرفة نبيه ومعرفة دين الإسلام بالأدلة "

هكذا قال في المسألة الأولى، إذن: أجمل الأصول الثلاثة في أول الرسالة،

ثم شرع في بيانها مفصلة وذلك لأن النفس تتشوق إلى معرفة ما أجمل على وجه التفصيل ..

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب :

فإذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة، التي يجب على الإنسان معرفتها ؟

فقل : معرفة العبد ربه، ودينه ،ونبيه محمداً صلى الله عليه وسلم

فإذا قيل لك : من ربك : فقل ربي الله الذي رباني، ورب جميع العالمين

بنعمه، وهو معبودي، ليس لي معبود سواه، والدليل قوله تعالى :

(الحمد لله رب العالمين) وكل ما سوى الله عالم . وأن واحد من ذلك العالم .

وإذا قيل لك : بم عرفت ربك ؟ فقل : أعرفه بآياته ومخلوقاته ؛ ومن آياته :

الليل، والنهار، والشمس، والقمر، ومن مخلوقاته : السماوات السبع،

ومن فيهن، والأرضون السبع ومن فيهن وما بينهما ؛ والدليل قوله تعالى :

(ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر

واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون) وقوله تعالى :

(إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على

العرش يغشي الليل والنهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره

ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين) . والرب، هو : المعبود،

والدليل قوله تعالى : (يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من

قبلكم لعلكم تتقون) إلى قوله تعالى : (فلا تجعلوا الله أنداداً وأنتم تعلمون) قال

ابن كثير رحمه الله تعالى : الخالق لهذه الأشياء، هو المستحق للعبادة .

وأنواع العبادة التي أمر الله بها، مثل : الإسلام، والإيمان الإحسان ومنه

الدعاء والخوف والرجاء والتوكل، والرغبة، والرهبة، والخشوع،

والخشية، والإنابة، والاستعانة، والاستعاذة،، والاستغاثة، والذبح،

والنذر، وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها، والدليل قوله تعالى :

(وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً) فمن صرف من ذلك شيئاً لغير الله،

فهو مشرك كافر ؛ والدليل قوله تعالى : (ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان

له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون).

وفي الحديث : " الدعاء مخ العبادة " والدليل قوله تعالى : (وقال ربكم ادعوني

استجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين)

ودليل الخوف قوله تعالى : (إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافون

وخافون إن كنتم مؤمنين) ودليل الرجاء قوله تعالى : (فمن كان يرجوا لقاء

ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) ودليل التوكل قوله تعالى :

(وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين) وقوله تعالى :

(ومن يتوكل على الله فهو حسبه) ودليل الرغبة والرهبة، والخشوع،

قوله تعالى : (إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً

وكانوا لنا خاشعين) ودليل الخشية قوله تعالى : (فلا تخشوهم واخشوني)

ودليل الإنابة قوله تعالى : (وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له) ودليل الاستعانة

قوله تعالى : (إياك نعبد وإياك نستعين) وفي الحديث :" إذا استعنت فاستعن

بالله " ودليل الاستعاذة قوله تعالى (قل أعوذ برب الفلق)، (قل أعوذ

برب الناس)، (ودليل الاستغاثة قوله تعالى : (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم) .

ودليل الذبح قوله تعالى : (قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب

العالمين، لا شريك له) ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم :

" لعن الله من ذبح لغير الله " ودليل النذر قوله تعالى :

(يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيرا) .

* * *

الشرح:قال الإمام : " فإذا قيل لك : ما الأصول الثلاثة التي يجب على

الإنسان معرفتها ؟ فقل:معرفة العبد ربه،ودينه،ونبيه صلى الله عليه وسلم " ..

" فإذا قيل لك " هنا أبهم السائل ولم يحدده، وقد ورد تحديد السائل في حديث

سؤال القبر " أتاه ملكان فأقعداه وسألاه : من ربك وما دينك وما الرجل المبعوث فيكم "،

ولكنه هنا أبهمه ليدل على أهمية الجواب،وجواب هذا السؤال عليه النجاة في القبر

وما بعده،إلاَّ أنَّ هذه القضايا الثلاث هي حقيقة دعوة الرسل الكرام في الدنيا،

فالرسل وأتباعهم ملزمون بتعريف العباد بهذه الأصول ...

قال:" الأصول "، جمع أصل وهو ما يُبنى عليه غيره، كأصل الجدار:

أي أساسه الذي بني عليه،وأصل الشجرة الذي يتفرع منه الأغصان،

كما قال سبحانه " كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء "إبراهيم،

وأصول الإسلام لا تنحصر في هذه الثلاثة، إلا أنَّ هذه الأصول أصولٌ مستقلة كل ما عداها من أصول الدين مبني عليها ...

" الثلاثة " و هي لا تنحصر في ثلاثة ، إنما عدها ثلاثة لبيان أهميتها ...

" يجب " الواجب هنا لا يُراد به المعنى المصطلح عليه والمختلف في حده عند الأصوليين،و إنما يراد به " الأساس الذي يبنى عليه الدين "..

حينئذٍ نقول: الأصول الثلاثة هي : الأسس التي ينبني عليها دين الإسلام..

و بمعرفتها تتحصل النجاة في الدنيا و الآخرة،و الجهل بها غير سائغ لآنَّ مدار الإسلام عليها ،فلابد من الإعتناء بمعرفتها والعمل بمقتضاها...

" على الإنسان " أي على كل إنسان فـ " أل " هي المُعَرِّفةُ التي تفيد العموم لإنَّه يصح استبدالها بـ " كل " فيكون المعني " الأصول الثلاثة التي يجب معرفتها على كل إنسان " وبهذا يدخل في الخطاب المسلمون والكفار بكل أصنافهم لأنهم مخاطبون بأصول الشريعة على الأصح كما قال تعالى:

" يا أيها الناس اعبدوا ربكم " فهنا عمّ ولم يَخُصْ ...

" معرفتها " أي أن يعرفها والمعرفة بمعنى العلم والإدراك ، وهل المراد المعرفة المجردة عن العمل ؟ الجواب : لا ،المراد المعرفة التي ينبنى عليها العمل، فهي بمعنى الإعتقاد والعمل، فإبليس عرف ربه والمشركون عرفوا الله سبحانه ولكن هذه المعرفة فاسدة لأنها لم تستوجب عملاً.

"فقل: معرفة العبد ربه " والمراد بالرب هنا المعبود، لأنَّ الإمتحان في القبر يكون في الألوهية لا في الربوبية ، لأن الجميع قد أقروا بربوبية الله تعالى على خلقه ، فلا معنى أن يكون الإمتحان في الربوبية التي أقر بها الجميع ..

وهل أتى الرب بمعنى المعبود ؟ أما في اللغة فلا ، وأما في الشرع فنعم ،

يأتي الرب في الشرع بمعنى المربي وهذا معناه لغة ، ويأتي بمعنى المعبود،

ويدل عليه قوله تعالى " إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا " فصلت(41)،

أي معبودنا وإلهنا، والربوبية إذا أفردت تستلزم الألوهية، لأنَّ من عرف

ربه لزم من ذلك أن يعبده وإلا كانت معرفة العبد بالربوبية كمعرفة المشركين،

والألوهية تتضمن الربوبية ، ولهذا فإن أفرد أحد اللفظين شمل الآخر ، وإن

اجتمعا دل كل واحد منهما على معناه المشهور به ..

ولهذا قال العلماء : " الربوبية تطلق ويراد بها الألوهية والعكس " ...

والمعنى على هذا : أن يعرف العبد ربه ومعبوده وهذه المعرفة تقوم على أسس :

أولها : كونه منفرداً بالربوبية بلا شريك ...

والثاني : كونه منفرداً بالألوهية بلا شريك ...

والثالث : كونه منفرداً بأسمائه و أوصافه سبحانه..

" ودينه "، الدين في اللغة : يراد به الطريقة كما في قوله تعالى :

" لكم دينكم ولي دين " ، ويراد به الجزاء ومنه قوله تعالى :

" مالك يوم الدين"أي الحساب والجزاء ، ويراد به الحكم كما في قوله تعالى:

" وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله " أي الحكم، والدين في الشرع:

ما شرعه الله سبحانه لعباده على ألسنة رسله الكرام ، قال تعالى :

" شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً " ، والمراد هنا:

" الدين بمعنى الإسلام الذي أرسل الله به محمداً صلى الله عليه وسلم لعموم

الخلق " ،وهذا الدين قسمه العلماء إلى عدة أقسام منها تتكون حقيقته :

عقائد وعبادات ومعاملات ...

وقد جعله الله ناسخاً لكل الشرائع قبله،ودعا إليه عموم خلقه وارتضاه لهم ولم

يرض غيره لهم وعلق النجاة والخسارة عليه ...

"و نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم"...

يعني : معرفة نسبه الشريف و ما بعثه الله تعالى به من الدعوة إلى التوحيد

و معرفة ما أحله و ما حرمه ،و جهاده للكفار والمشركين ، و هذه المعرفة

تستلزم تصديقه فيما أخبر و طاعته فيما أمر و الإنتهاء عما عنه نهى..

قال"فإذا قيل لك : من ربك : فقل ربي الله الذي رباني، ورب جميع العالمين

بنعمه، وهو معبودي، ليس لي معبود سواه، والدليل قوله تعالى :

(الحمد لله رب العالمين) وكل ما سوى الله عالم . وأن واحد من ذلك العالم ...

قال ابن الأثير في غريب الحديث (179/2) :

والرب في اللغة يطلق على الحفظ والرعاية وعلى الخالق المربي ،

والرب يطلق على المالك والسيد والمدبر والقيم والمنعم إ.هـ

فسر الرب هنا بكلمتين " الخالق والمعبود "، وهذا تعريف الرب عند

الإطلاق فإنه يدخل فيه معنى الألوهية ، وهذا بإجماع السلف .

كما أن كلمة الله عند الإطلاق : معناه الخالق المعبود أما عند الاقتران

فتتضمن قاعدة (إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا) إي إذا قيل

لك من ربك؟ فهو يعنى الخالق المعبود وكذلك الله إذا مرت عليك

وحدها ،لكن لو اجتمعا في سياق واحد (الله والرب) فهناك يختلف

فتعرف الرب بالخالق والله بالمعبود ، فعند الافتراق يتسع ،

و يضيق عند الاجتماع .

أما أهل البدع فالرب عندهم هو نفس معنى (الله) ،ولا فرق بينهما

عند اجتماع ولا افتراق فالمعنى واحد واللفظ مختلف ...

" وهو معبودي " أي من أذل وأخضع له بالطاعات .

قول المصنف " ليس لي معبود سواه " ليس : نفي ، وسواه : إثبات ،

فجمع بين النفي الإثبات ، والدليل قوله تعالى : " الحمد لله رب العالمين "

" وكل ما سوى الله عالم وأنا واحد من ذلك العالم " .

فالوجود قسمان : رب ومربوب ، فالرب هو الخالق المعبود،

والمربوب هو العالم ، ويلاحظ أن المصنف استخدم طريقة السؤال

والجواب وهذا الأسلوب استخدمه في الأصل الأول فقط .

قال المصنف:"وإذا قيل لك : بم عرفت ربك ؟ فقل : عرفته بآياته

ومخلوقاته ؛ ومن آياته : الليل، والنهار، والشمس، والقمر،

ومن مخلوقاته : السماوات السبع، ومن فيهن، والأرضون السبع

ومن فيهن وما بينهما ؛ والدليل قوله تعالى :

(ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس

ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون)

وقوله تعالى : (إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة

أيام ثم استوى على العرش يغشي الليل والنهار يطلبه حثيثاً و

الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك

الله رب العالمين) . والرب، هو : المعبود، والدليل قوله تعالى :

(يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون)

إلى قوله تعالى : (فلا تجعلوا الله أنداداً وأنتم تعلمون)

قال ابن كثير رحمه الله تعالى : الخالق لهذه الأشياء، هو المستحق للعبادة .

"فإذا قيل لك بما عرفت ربك " طرح هنا سؤالاً ، والجواب :

حتى تعرف ربك بالأدلة ويكون إيمانك مبنياُ على الاستدلال لأنه أقوى

وأفضل ومعناه ما هي الوسائل التي عرفت بها الله ؟

" فقل عرفته بآياته ومخلوقاته " والأدلة في معرفة الرب وأنه

الخالق المعبود ثلاثة :

1- دليل فطري . 2- دليل عقلي . 3 – دليل نقلي .

واختار المصنف الدليل العقلي الذي دلّ علي معرفة الرب فقال

"بآياته ومخلوقاته" وليس هو دليل عقلي صرف بل عضده بآيات

من القرآن ، فمعرفته من الجهة العقلية بآياته و مخلوقاته وهو ما

يسمى بدليل الأثر أو دليل حدوث العالم .

وخلاصة هذا الدليل أنه لا بد لكل محدَث من محدِث ولا بد لهذا الوجود

من موجد سابق عليه فهذه الآيات والمخلوقات حادثة ولا يمكن أن تكون

جاءت من نفسها أو صدفة بل لا بد لها من محدث وهو الله تعالى ، وليس

المقصود فقط إثبات وجود الله وأنه الخالق فهذه ربوبية يُقر بها حتى الكفار

لكن المراد الربوبية والألوهية ، ثم عظم هذه الآيات يدل على عظم خالقها ،

وحسن هذه الآيات وإتقانها يدل على علم وحكمة من خلقها .

هذا الدليل العقلي : وقد بسَّطه المؤلف بهذا التبسيط وهو دليل محكم ولذا قال

الأعرابي " الأثر يدل على المسير والبعرة تدل على البعير .. ".

الدليل الثاني الفطري : وهو ما يجده كل مخلوق في نفسه من الاعتراف

بالله وبأنه الخالق المعبود وهو مركوز في كل الفطر قال تعالى :

{ فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها } .

وفي الحديث : [كل مولود يولد على الفطرة ..] متفق عليه ،

أي يعرف أنه خالق واحد معبود .

أما أهل البدع فعندهم أدلة أخرى فلسفية لثبات وجود الله فقط لا أنه المعبود منها ما يُسمى بدليل الأعراض والأجسام .

الدليل الثالث النقلي : وهذه كثيرة في القرآن والسنة التي تدل على أنه الله الخالق المعبود .

قال المصنف " بآياته ومخلوقاته " فرَّق المصنف بين الآيات والمخلوقات فعطف المخلوقات على الآيات .

والقاعدة أن العطف يقتضي المغايرة فالآيات غير المخلوقات والمصنف اتبع النصوص في التسمية ، ففي الآية الثانية سُميت السماوات وما عطف عليها مخلوقات فتقيد المصنف بألفاظ القرآن وإلاّ فالمخلوقات التي ذكر المصنف هي آيات لذا جمعها الله في قوله :

" إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار الآيات لأولي الألباب "

والآيات لتي ذكر المصنف أربع : الليل والنهار والشمس والقمر ، والمخلوقات لتي ذكر المصنف هي السماوات السبع والأراضون السبع وما فيهن وما بينهما . ثم ذكر دليلين " ومن ءاياته الليل والنهار " الآية ،

وجه الدلالة : استدل بهذه الآيات على أنه مستحق للعبادة،و قوله تعالى:

" لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون "

، وأيضاً عرَف الله بهاوالدليل الثاني هو الآية الثانية :

" إن ربكم الله الذي خلق " الآية وجه الدلالة :

استدل بهذه الآيات على أنه مستحق للعبادة قوله له الخلق والأمر،

والأمر أي التشريع والتحليل والتحريم والعبادة وفق أمره تعالى لا شريك له .

قال المصنف والرب هو " المعبود "، من معاني الرب أنه المعبود والدليل

" يا أيها الناس اعبدوا ربكم " فأصبح ربنا معبوداً ، إلى أن قال" فلا تجعلوا

لله أندادا " أي اعبدوه لوحده لا شريك له . **قال المصنف:**

" قال ابن كثير الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة " وهذا زيادة تدليل .

قال " وأنواع العبادة التي أمر الله بها مثل الإسلام والإيمان والإحسان " ...

لما ذكر أن الله هو المستحق للعبادة لزم أن يُعرفَ أنواعها ...

" أنواع "، جمع نوع وهو المثال أو الصنف يعني أمثلتها، لأنها اسم جامع

لأصناف كثيرة ولهذا احتاج أن يفصلها ...

" التي أمر الله بها " منها ما يكون أمراً لازماً ومنها ما يكون أمراً مستحباً ،

إذاً لا تختص العبادة بالواجبات ، فمنها واجب ومنها مستحب ...

" مثل الإسلام والإيمان والإحسان "...

ذكر هنا مراتب الدين الثلاثة ومثل بها لأنواع العبادات ، ولم يذكر لها أدلة لأنه

سيذكرها مستقلة تحتها مسائل،وإنما بدء يذكر أنواعاً أخرى بأدلتها ...

وهذه الثلاثة هي مراتب الدين التي جاءت في حديث جبريل ولا تعد قسيماً لما

سيذكره من الأنواع، فهذه الأنواع جزء من أحد هدي المراتب أو من كلها ،

فلا يقال المحبة قسيم الإيمان أو الإسلام أوا لإحسان ، وإنما يقال المحبة قسيم

الخوف والخشية، ولماذا ذكرها وهي لا تعد أنواعاً بل هي مراتب الدين ؟

قد يجاب بأنه ذكر العبادات بذكر أصولها لأن كل الأنواع إما أن يكون ظاهراً وبهذا

يندرج تحت الإسلام وإما أن يكون باطناً وبهذا يندرج تحت الإيمان ،وبهذا يكون قد

ذكر الأصول إجمالاً وبعدها عدد الأنواع تفصيلاً استئنافاً لما أجمل وهذه طريقته وعادته ..

" ومنه " الضمير عائد على الأنواع وكان حقه أن يؤنث فيقول " ومنها " لأنه عائد

على الأنواع وكل جمع يؤنث الضمير العائد عليه كما ذكر الزمخشري ...

" الدعاء " وقد ذكر هنا أربعة عشر نوعاً وليس على سبيل الحصر لأنها لا تنحصر

في هذا العدد إذاً لم يقصد الاستيعاب ...

والدعاء لغة : هو الطلب ، وفي استعمالات الشرع على معنيين :

أحدهما : دعاء العبادة ، والثاني : دعاء المسألة ،ودعاء العبادة ما فيه تذلل

لله سبحانه رجاءً للثواب وبهذا يكون فى معنى قولك :

يا الله أثبنا وارحمنا وأجرنا ولهذا قال أهل العلم:كل العبادات فيها معنى الطلب.

ودعاء المسألة فيه الطلب صراحة ، طلب ما ينفع وطلب دفع ما يضر ..

وعبارة المصنف ظاهرها الدعاء بقسيمه، وهذا يشمل العبادة كلها ،

وبهذا صار الدعاء هو العبادة، فكل عبادة دعاء وكل دعاء عبادة ..

ثم قال والخوف والرجاء ... إلخ ... وغير ذلك ، كل هذه أمثلة لأنواع العبادات

سيأتي ذكرها بأدلتها..

" كلها لله تعالى " أي كل هذه العبادات لا يجوز أن تصرف لغير الله فهو حقه الخالص .

" والدليل " أي على وجوب صرفها لله وعدم صرفها لغير الله ..

"قوله تعالى " وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً " ....

فيها تفسيران : قد يراد بها بيوت الله التي تقام فيها شعائر الإسلام ،

أو جمع مَسْجَدٌ وهو أعضاء السجود، وأن المساجد لله أي مختصة به

سواء كان المراد بيوته أو أعضاء السجود ،وهذا فيه دليل على توحيد الله

سبحانه وإفراده بالعبادة ...

" فلا تدعوا مع الله أحداً " يشمل نوعي الدعاء ... " وأحداً " نكرة في سياق نفي فتعم .

" فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر "..

من شرطية فتعم والمراد: فأي أحد ، وهذا تفسير لحكم تضمنته الآية ودلت عليه ...

" من " شرطية وهي من صيغ العموم ، " صرف " توجه بشئ منها والمعنى فأي

أحد توجه بنوع منها لغير الله فهو مشرك كافي لا يستثنى من ذلك إلا الصغير

والمجنون لعموم الأدلة ...

" شيئاً " وإن قل فالعبادات لا يفرق فيها بين القليل والكثير ، وحينئذ نقول:

" يثبت الشرك ولو كان المصروف شيئاً قليلاً " ...

" فهو " الفاء واقعة في جواب الشرط ، والمراد :

أي الذي يفعل ذلك مشرك وفعله شرك ، وفرق بينهما فالشرك وصف

والذي تلبس به يقع عليه الوصف ونقول هو مشرك ، ولماذا ؟ لأنه فعل الشرك ...

" كافر " لأنه جحد حقاً لله تعالى فصرفه لغيره ، وهنا جمع المصنف بين

وصف الشرك و الكفر لأن كل مشرك كافر وليس العكس وهذا مشهور عند أئمة الدعوة .

قال :" والدليل "أي على كون من صرف لغير الله شيئاً أنه مشرك كافر...

"قوله تعالى "ومن يدع مع لله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه .إنه لا يفلح الكافرون"

"ومن " شرطية فتعم ،" يدع" فعل مضارع وهو منسك من زمن ومصدر

والمصدر نكرة وقع في سياق الشرط فيعم ،إذاً عموم في الفعل وإن قل،

"إلهاً "فعالاً بمعنى مفعولاً مألوهاً ، إلهاً نكرة في سياق الشرط فيعمم ،

فالآية فيها عمومان ، عموم في الفعل وعموم فى المصروف إليه الفعل ،

وبهذا وقع الشرك وثبت إذا هو مشرك ..

" لا برهان له به " عائد على إلها آخر فهي صفة له ، " والبرهان " لغة :

هو الحجة والدليل ، وعند المناطقة أقوى أنواع الأدلة هو البرهان لأنه قطعى ،

يعني: ليس لهذا الإله الآخر المتخذ معبوداً مع الله ليس له برهان وحجة صحيحة

وهذه يعبر عنها بأنها صفة كاشفة لا صفة حقيقة ...

والصفة نوعان : إذا وصف الشئ قد يكون للإحتراز ، ويكون له مفهوم ومنطوق

" جاء زيد العالم " وهذا إذا كان عندنا زيد عالم وزيد غير عالم وأردنا أن نبين

حقيقة من جاء ، لأننا لو سكتنا احتمل الأمرين ، وعلى هذا فـ " عالم "

صفة كاشفة للإحتراز من الإحتمال وزيادة الإيضاح والاستفسار والمعنى:

بيان حقيقة من دعي مع الله تعالى بأنه لا حجة له صحيحة ...

والنوع الثاني : صفة حقيقية وهي التي تلازم الموصوف ولا يشركه غيره فيها

ومنه قوله تعالى " اعبدوا ربكم الذي خلقكم " ، " الذي " صفة في محل نصب

وهي صفة حقيقية تلازم الموصوف ....

" فإنما حسابه عند ربه " تهديد ووعيد لمن تلبس بالشرك ، وهنا حصل الشرك ...

" إنه لا يفلح " هذا نفى للفلاح وهو الهلاك ، " الكافرون " سماهم كافرين لأنهم دعوا

مع الله تعالى غيره ،إذا جمعوا بين الشرك والكفر ، وهذا دليل على أنه من أشرك فهو كافر ..

" وفي الحديث " هذا من باب سرد الأدلة لإن الكلام في قضايا التوحيد والشرك والعبادة

يلزم فيه الدليل ، لا بقول قائل أياً كان هو ....

" الدعاة مخ العبادة " أي لبها حقيقتها ولكن فيه ضعف ، والصحيح

" الدعاء هو العبادة " هنا عرف الجزئين وأفاد الحصر :

لأن التعريف للمبتدأ الخبر يفيد الحصر ،وهو" إثبات الحكم في المذكور دون

ما سواه " والمعنى :أن العبادة تنحصر في الدعاء ، والدليل قوله تعالى:

" وقال ربكم ادعوني استجب لكم . إن الذين يستكبرون عن عبادتي

سيدخلون جهنم داخرين " ....

ووجه الدلالة على كون الدعاء هو العبادة قوله " ادعوني " ،وكل ما أمر

الله به فهو عبادة وهنا أمر بالدعاء فدل على كونه عبادة ..

وقد فسر بعضهم " ادعوني " بدعاء المسألة وعليه أستجب أي أعطكم ..

وقيل بالمعني العام للدعاء أي دعاء المسألة ودعاء العبادة ...

"إن الذين يستكبرون عن عبادتي"وهنا الدعاء عبادة والدليل الآية ....

فمن دعا غير الله بشئ لم يقدرعليه إلا الله فهو مشرك كافر سواء كان حياً أو ميتاً..

وأما من دعا حياً حاضراً أمامه بشئ يقدر عليه فلا شئ عليه ..

وأما من دعا حياً غائباً بأى شئ فهو مشرك كافر سواءً كان في مقدوره أم لم يكن...

وعلة ذلك أنه اعتقد فيه شيئاً من خصائص الإلوهية وهى السمع المطلق لكل

ما خفي وما ظهر فلأجل ذلك دعاه معتقداً أنه سيسمعه ويلبي حاجته وإلا لما دعاه

" قال : ودليل الخوف " بعدما ذكر الدعاء وأدلته ذكر الخوف وهو النوع الثاني،

الخوف هو "الذعر" وهو انفعال يحصل بتوقع ما فيه ضرر أو هلاك ..

والإنفعال هو القلق والاضطراب الذي يصيب القلب ،وهذا الخوف منه

ما يكون عباده ومنه ما لا يكون عباده بل هو عادة ..

والخوف على أربعة أنواع :-

الأول : الخوف الطبعي وهذا مباح في الأصل لأنه ليس بعبادة ولا ينافي الإيمان،

لإنه أمر فطري، كمن رأى شيئاً فهو خائف لا محالة وهذا لا يلام عليه العبد إذا انعقد

سببه، وأما إذا توهم فخاف فهذا مذموم لأنه جبن ولا يليق بمؤمن ، قال تعالى:

" فأصبح في المدينة خائفاً "، هذا عن موسى وهو حال ،

خوف طبيعي لا يلام عليه ولو كان نبياً ...

الثاني : خوف محرم وهو الخوف المقعد عن الطاعة والحامل على المعصية ،

يعني ما كان سبباً لترك واجب أو فعل محرم ولكنه لا يصل إلى الشرك .

الثالث : خوف عباده وهو خوف التعبد الذي يحمل على فعل الطاعة وترك المعصية

وهذا خاص بالله ، وصرفه لغير الله يعتبر شركاً أكبر ..

الرابع : خوف السر وهو خوف عباد القبور من الأولياء وأصحاب القبور أن يصيبوهم

بمكروه ، قال تعالي عن قوم هود: " إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء "،

فهم يعتقدون أن الآلهة تقدر علي إيقاع الضر بمن تشاء ، لما سبها هود قالوا له ذلك ..

والثالث والرابع يختصان بالله وصرفهما لغيره شرك أكبر ، والخوف قد يكون

محموداً إن كان حاجزاً عن المحارم كما قال بن تيمية" :وبه تسكن النفس إلى الله

وتفرح بطاعته " ، وقد يكون مذموماً وذلك إن حمل على اليأس والقنوط ..

والدليل " وخافون إن كنتم مؤمنين "، لما أمر بالخوف منه دل على كونه عبادة

ولهذا علق به الإيمان وصحته ،إذن: جعل الإيمان مشروطاً بالخوف وهو خوف العبادة ،

ويكون الخوف شركاً إذا خاف من إيقاع ما لا يقدر عليه إلا الله ...

قال: ودليل الرجاء قوله تعالى: " فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً

ولا يشرك بعبادة ربه أحداً " ....

الرجاء في اللغة : هو " الطمع " أو هو " انتظار الشئ المحبوب "، فمن طمع في

شئ محبوب يقال رجاه ، وعرفه البعض بأنه " طمع الإنسان في أمر قريب المنال ،

وقد يكون بعيد المنال لكنه ينزل منزلة القريب " ،أو هو " ميل النفس إلى حصول

المراد " وقد يكون المراد قريباً وقد يكون بعيداً، وقد ذكر الرجاء بعد الخوف لأنه

قرينه، والخوف والرجاء للمسلم كالجناحين للطائر والرجاء إما أن يكون عبادة

وإما أن يكون عادة ، فأما رجاء العبادة فهو المتضمن للذل والخضوع ، بأن يطمع

العبد في شئ لا يملكه إلا الله تعالى ، وهذا النوع يوجد معنى التعبد وهو

الذل والخضوع ، ولهذا فهو حق خالص لله تعالى وصرفه لغيره شرك أكبر ..

والعبادات القلبية لا يستفسر فيها هل هي شرك أكبر أم أصغر ، وإن كان

الله جل وعلا قد جعل لها أسباباً فالسبب لا يستقل بنفسه ، بل لابد له من معاون

ولا بد له من انتفاء الموانع وعلى هذا فهو يعمل ويؤثر بمشيئة الله تعالى وقدرته ..

والأسباب لا ينظر إليها بمفردها لأنها ليست مستقلة بنفسها في إحداث الأمور

ولا في التأثير ، وإنما ربط الرب جل وعلا الأسباب بمسبباتها ، فحينئذ يفعل العبد

السبب ولا يلتفت إليه ، وإنما يلتفت إلى خالقه سبحانه الذي خلق السبب وأوجده

وجعله مؤثراً بقدرته تعالى ،ولهذا أهل السنة يقولون :-

" الأسباب لا تستقل بنفسها ، وإنما هي مرتبطة بمشيئة الله تعالى وقدرته "

وهذه قاعدة أهل السنة والجماعة ..

وأما رجاء العادة فهو الرجاء الطبيعي وهو " رجاء الشئ ممن يملكه "،

كمن رجا منفعة من مال ونحوه ممن يملك هذا المال فهذا لا شئ فيه ،

إذا الرجاء نوعان : نوع هو عباده ونوع هو عادة ..

ورجاء العبادة نوعان : نوع محمود ونوع مذموم ..

فالرجاء المحمود هو " رجاء ثواب الله تعالى مع العمل بطاعته "، كمن يرجوا

رحمة الله تعالى ويطمع في حصولها وهو مع هذا يعمل بطاعته ليتوصل بها

لحصول هذه الرحمة كما قال تعالى " ورحمتي وسعت كل شئ . فسأكتبها للذين يتقون "

والرجاء بهذا يدفع إلى العمل بما شرع الله سبحانه ، ومنه من أذنب ورجى المغفرة

فهذا أيضاً رجاء محمود ...

وأما الرجاء المذموم فهو " رجاء الثواب مع تخلف العمل ومخالفة أمر الله "،

فهذا النوع مذموم لأنه مقرون بالتسويف والعصيان ، وقد استدل الإمام على كون

الرجاء من العبادات بالآية المذكورة أعلاه،و قوله تعالى " فمن كان يرجوا "،

" من " شرطية فتعم ، وهذا عموم في الأشخاص ، " كان يرجوا " أي:

يطمع مع العمل وهذا هو الرجاء المحمود ، " لقاء ربه " أي معاينة ربه جل وعلا وهذا دليل على الرؤية وبهذا فسره السلف ، والمعاينة تكون أيضا للنعيم والرضوان والرب هنا في الآية هو المعبود، وقد تقرر في الشرع أن الرب إذا أطلق أريد به الخالق المعبود ، لأن الربوبية تستلزم الألوهية وتقتضيها ، وأما الرب في اللغة فهو الخالق المالك المدبر إلى غير ذلك من أفعال الخالق سبحانه .

" فليعمل عملاً صالحاً " أي من كان يطمع في معاينة النعيم والرضوان وأعلاه رؤية الله تعالى فليقرن هذا الطمع بالعمل ، وصفة هذا العمل أنه صالح ، والعمل الصالح هو ما اشتمل على شرطين وهما : الإخلاص والإتباع ، ومخالفة الشرط الأول توقع في الشرك ومخالفة الشرط الثاني توقع في البدعة .

" ولا يشرك " لا هي الناهية الجازمة و " يشرك " فعل مضارع منسبك من مصدر وزمن والمصدر نكرة فيعم كل أنواع الشرك سواء الأكبر أو الأصغر أو الخفي ..

" بعبادة ربه " الباء هنا ظرفية بمعنى في أي ولا يشرك في عبادة ربه أحداً .

" أحداً " نكرة في سياق النهي فتعم المشرك به ، أي لاملكا ولا نبيا ولا جنا ولا إنسا ولا شجراً ، إذاً في الآية عمومان ، عموم الأشخاص الذين يشرك بهم ، وعموم في الشرك ذاته ، وذلك ليشمل كل من دون الله بلا استثناء ، وكل أنواع الشرك بلا استثناء ،

إذاً:هنا قال " فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً " ، وما وجه الاستدلال في الآية ؟ الجواب : أنه امتدح الرجاء وعلقه بالعمل ورتب عليه الجزاء، وما امتدحه الرب جل وعلا يكون مرضياً عنده محبوباً له ، وبهذا يصدق عليه كونه عبادة ، والدليل على أن صرفه لغير الله شرك قوله تعالى:

" واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً " لما كان داخلاً في مسمى العبادة كان حقاً خالصا ً لله وحده وصرفه لغير الله شرك .

ودليل التوكل قوله تعالى " وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين " سورة المائدة .

هذه هي العبادة القلبية الرابعة ...

والتوكل في اللغة : مداره على الإعتماد والتفويض ، يقال: توكل واتكل ....

وفى الشرع هو " الاعتماد على الله تعالى لجلب حير أو دفع شر"...

وقد نص الإمام ابن القيم على أن للتوكل ثلاثة أركان :-

الأول : الإعتماد على الله تعالى ، والثاني: الثقة بالله تعالى والثالث :

الأخذ بالأسباب المشروعة ،والأسباب التى شرعها الله عزوجل تنقسم إلى قسمين :-

الأول: الأسباب الشرعية وذلك مثل الصلاة فهمى سبب شرعه الله عزوجل لدخول الجنة ..

وبهذا فكل العبادات تدخل فى هذا القسم لأنها أسباب موصله لرضا الرب جل وعلا....

والقسم الثانى :الأسباب القدرية وهى " كل ما علم من جهة التجربة "...

ومن ذلك استعمال الأدوية التى تزيل الأمراض وتذهبها بناء على ما قرره الأطباء

من خلال بحوثهم وتجاربهم ، ومثل ذلك لم يأت به الشرع ,إنما علمناه من التجربة...

وحينئذ نقول " كل سبب شرعي وقدرى الآخذ به مشروع للعلم بجهة إيجاده،

إما شرعاً وإما قدراً، وأما ما لم يعلم جهة جعله سبباً فلا يجوز الأخذ به" ....

لكن يجب مراعاة عقيدة أهل السنة فى الأخذ بالأسباب وهى :-

"الأسباب لا تستقل بنفسها،وإنما هى مرتبطة بمشيئة الله وقدرته "...

فلا يلتفت إلى السبب بل إلى رب السبب جل وعلا ..

ثم قال ودليل التوكل قوله تعالى وذكر فى الآية ...

"وعلى الله فتوكلوا"، هذا أمر وكونه مأموراً به هذا دليل على كونه محبوباً

مرضياً عند الله وما كان كذلك صح أن يكون عبادة....

وأصل التركيب : توكلوا على الله، وهنا قدم ما حقه التأخير ليفيد الحصر أي:

على الله لا على غيره اعتمدوا وفوضوا أمركم ،والآية دليل على وجوب التوكل

وأنه عبادة قلبية حق خالص لله تعالى ،وصرفها لغيره شرك أكبر ،

ولهذا جعله الله شرط الإيمان لا يثبت الإيمان إلا به...

وهنا ذكر له أية أخرى لأهميته وعظمته كما قال سبحانه:

" ومن يتوكل على الله فهو حسبه " ،أى كافيه ،ومن كان الله كافيه فلا مطمع لأحد فيه ..

"ومن " شرطية فتعم كل أحد حقق التوكل ، " يتوكل على الله "، أى: يعتمد عليه

ويفوض أمره إليه، "فهو" الفاء واقعة فى جواب الشرط، أي فهو لا أحد سواه،

"حسبه" أي كافيه وهذه ثمره التوكل ....

والتوكل أنواع متعددة ، وهذه الأنواع تختلف حكمها بحسب كل نوع وهى كالآتى :-

النوع الأول:التوكل على الله تعالى ،وهو واجب لا يتم الإيمان إلا به وسبق بيانه...

النوع الثانى:توكل السر، بأن يعتمد على ميت فى جلب منفعة أو دفع مضرة فهذا شرك أكبر

لأنه لا يقع إلا ممن يعتقد أن لهذا الميت تصرفاً سرياً فى الكون ويسمون ذلك "القوة الخفية"

ولا فرق بين أن يكون نبياً أو ولياً أو طاغوتاً عدوا لله تعالى....

النوع الثالث: التوكل على الغير فى شئ يملكه مع الشعور بعلو مرتبته وانحطاط

مرتبة المتوكل، مثل أن يعتمد عليه فى حصول المعاش ونحوه وهذا نوع من الشرك الأصغر.

لقوة تعلق القلب به واعتماد عليه ، وأما أن يعتمد عليه على أنه سبب قدره الله فلا بأس .

النوع الرابع: الإعتماد على الغير فى فعل ما يقدر عليه على سبيل النيابة ...

وذلك بحيث ينيب غيره فى أمر تجوز فيه النيابة فهذا لا بأس به بدلالة الكتاب والسنة

والإجماع ،فقد قال يعقوب لبنية " يا بنى اذاهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه "سورة يوسف،

ووكل النبى صلى الله عليه وسلم عمالاً وحفاظاً على الصدقة ،ووكل فى إقامة الحدود

ووكل فى الحج حين نحر الهدىَ عليٌ رضى الله عنه أن ينحر ما بقى من المئة بعدما

نحر ثلاثا وستين وأمر أن يتصدق بجلودها والإجماع على جواز ذلك معلوم .

قال "ودليل الرغبة والرهبة والخشوع قوله تعالى: "إنهم كانوا يسارعون في الخيرات

ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين " الأنبياء، ودليل الخشية قوله تعالي :

"فلا تخشوهم واخشون"سورة البقرة،هذه هي العبادة الخامسة والسادسة والسابعة...

يقال رغب يرغب، ورهب يرهب،والأول بمعنى المسألة والضراعة ،والثانى بمعنى الخوف .

والرغبة هى "السؤال والطلب والإبتهال والتفرغ،وعلى هذا ففيها نوع طمع،

وبهذا يتحقق فهيا معنى الرجاء ،لأنها طمع فيما هو محبوب للنفس، ولهذا عدها العلماء

أعلى درجات الرجاء وعبروا عنها بما يقترب من تعبيرهم عن الرجاء...

قال فى المصباح المنير :الرغبة هى السعة يقال رغب الشئ أى اتسع ...

فالرغبة فى الدعاء إطالته وكثرته والسعة فيه،وهذا أعلى درجات الطمع لأنه

يصاحبه قوة فى الطلب ....

والرهبة :"هى الفزع الدائم من المخوف منه"....

وهى تشتمل على شيئين:على خوف وعمل .....

وقال بعضهم هى "خوف خاص " لأنها أعلى درجاته ...

والخشوع : فعول مأخوذ من خشعت الأرض إذا سكنت واطمأنت ...

وقوله تعالى" ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة " الآية ،أي ساكنة ليس فيها حركة...

والخشوع يكون فى القلب والجسم والصوت ،قال سبحانه "وخشعت الأصوات للرحمن"

وقال تعالى " خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة" وقال جل وعلا "قد أفلح المؤمنون الذين هم

فى صلاتهم خاشعون " الآيات ..

والدليل على كون هذه الثلاث من العبادات الآية المذكورة أعلاه...

ووجه الدلالة أن الله امتدح عباده التخلص بأنهم يدعونه رغباً ورهباً مع الخشوع له تعالى

والدعاء ، والمدح في مقام الرضى عمن فعل ذلك،وما يرضى به الرب فهو عبادة ولهذا كان حقاً خالصاً له وصرفه لغيره شرك أكبر...

وينبغي أن يكون الرغب والرهب على حد سواء،فمن غلب أحدهما الآخر، أبعد العبد عن مراد الله تعالى ..

ثم قال: ودليل الخشية قوله تعالى " فلا تخشوهم واخشوني " الخشية فعلة من خشيه أي خافه واتقاه ، قال الراغب الأصفهاني : الخشية خوف يشوبه تعظيم أي يخالطه وأكثر ما يكون ذلك عن علم بمن يخشى منه،ولذلك خص الله العلماء بها في قوله تعالى: " إنما يخشى الله من عباده العلماء "،وذلك لأنهم جمعوا بين الخوف والعلم بما يخشى منه ، وقوله " فلا تخشوهم "، أي: فلا تخشوا الناس فإني وليكم، " اخشوني " وحدي، وهذا دليل على كونها عباده لأنه أمر بها سبحانه وما كان مأموراً به كان عبادة ، وعليه فلا يجوز صرفه لغير الله وإلا كان شركاً أكبر .

والخشية فيها معنى الخوف ، إلا أنها أخص منه لأنها تقترن بالعلم بالمخوف منه وتعظيمه ، إذن هي " خوف مقرون بعلم بحقيقة من يُخاف منه وعظمته سبحانه "

قال "ودليل الإنابة قوله تعالى " وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له " ..

والإنابة فعالة، وهي مصدر أناب أي رجع وهي " الرجوع للشئ، مرة بعد مرة "، قاله الراغب ، إذا هي توبة وزيادة ، ففيها التكرار ، وعلى هذا فالإنابة هي توبة مع رجوع إلى حال أحسن فهي توبة وزيادة ولماذا ؟ لأنها تشتمل على الندم والعزم على عدم المعاودة فهي إذا توبة ولكنها تزيد على التوبة بأنها تقترن بالرجوع المتكرر إلى الله عز وجل ، وهي نوعان كان قال ابن القيم :

الأول : إنابة لربوبيته تعالى، ويشترك فيها جميع الخلق مؤمنهم وكافرهم كما قال تعالى: " وإذا مس الناس ضر دعوا ربهم منيبين إليه " ، منيبين حال، أي :

حال كونهم منيبين وهي عامة في حق كل داع ربه فيما أصابه من ضر .

والنوع الثاني : إنابة إلى ألوهيته تعالى وهذه هي مقصود الشيخ رحمه الله ،

إنابة المؤمنين ، ولها أربعة أركان لا تتحقق إلا بهم :

أولاً : محبته ، ثانياً : الخضوع له ، ثالثا : الإقبال عليه ، رابعاً : الإعراض عما سواه..

قال : والدليل الآية أي: على كونها عبادة، ووجه ذلك :أنه تعالى أمر بها والأمر بها يدل

على كونها محبوبة لله مرضية وما كان كذلك فهوعبادة لا يجوزصرفها إلا لله سبحانه .

" وأنيبوا إلى ربكم " أي ارجعوا إليه وداوموا على طاعته وهي عامة لجميع الخلق ،

وقوله عن شعيب " عليه توكلت وإليه أنيب " هذا أمر خاص ، و " أسلموا له "

أي بالتوحيد , والإسلام هنا هو الشرع بمعنى التوحيد .

وهناك إسلام كوني لجميع المخلوقات وهو الإستسلام للحكم الكوني يسع أحداً الخروج

عنه ودليله"وله أسلم من فى السموات والأرض طوعاً وكرهاً " الآية...

إذن الإنابة هى "الرجوع إلى الله تعالى مع محبته والخضوع له والإعراض عما سواه"...

ولكنها أخص من التوبة وفرق بينهما ودليل ذلك قوله تعالى :

" فاستغفر ربه وخر راكعاً وأناب"الآية ....

"فاستغفر ربه "أى تاب وقوله و"أناب "والعطف هنا يقتضى المغايرة ...

ودليل الإستعانة قوله تعالى: "إياك نعبد وإياك نستعين "الآية ،

وفى الحديث "اذا استعنت فاستعن بالله "رواه الترمذى ...

والسين تدل على الطلب وإن كان المشهورعندالصرفيين أن الألف والسين والتاء

يدلون على الطلب والصواب الأول ....

والإستعانة هى "طلب العون من الله تعالى "...

قال والدليل وذكر الآية ...

والإستعانه فيها معنى الثقة بالله والإعتماد عليه سبحانه "

"إياك " فى محل نصب مفعول به سواء قلت إيا والضمير للخطاب أوكلها مرة واحدة ...

"نعبد" فعل مضارع وهو أول فعل يدل على التوحيد فى القرآن ...

والمعنى أى نتذلل لك بفعل جميع الطاعات محبة وتعظيماً ....

"وإياك نستعين " خص الإستعانة بالله لأنه قدم ما حقه التأخير ليفيد الحصر ...

وهنا فصل العبادة عن الإستعانة لأهميتها ، ولأنه لا عبادة إلا باستعانة ...

وفى الحديث "فاستعن بالله" أي إذا أردت الإستعانة فبالله فاستعن ..

والإستعانه نوعان :-

الاول:الإستعانة بشئ لا يقدر عليه إلا الله فهذه حرفها لغيره سبحانه شرك أكبر

لأن الإستعانة عبادة والعبادة حق خالص لله وصرفها لغيره شرك أكبر ...

والثانى : الإستعانة فيما يقدر عليه المخلوق ،كأن تستعين بأحد يبنى لك جداراً فهذه جائزة

فهذه استعانة في الأمور العادية ...

أما الأستعانة بالمخلوق فى شئ لا يقدر عليه إلا الله مثل جلب الرزق ودفع الضر

فهذا لا يكون إلا الله ، وذلك كمن استعان بالأموات أو الجن أو الشياطين فى شئ

لا يقدر على جلبه أو دفعه إلا الرب سبحانه وهذا شرك أكبر بالإجماع...

" وإياك نستعين " براءة من الحول والقوة وهذا غاية التعبد لله عز وجل ...

ودليل الاستعاذة قوله تعالى " قل أعوذ برب الفلق " و " قل أعوذ برب الناس "..

والإستعاذة مأخوذة من العوذ وهو " طلب الحماية "، فالمستعيذ محتمي بمن

استعاذ به ومعتصم به، والمعني على ذلك:

" الاعتصام بمن يقدر على دفع الأذى عنك على جهة الطلب والإلتجاء "،

قال والدليل وذكر الآيات ، أي على كونها عبادة ، الدليل هو الأمر بها كما في

الآيات، والأمر بالشئ يقتضي أن يكون محبوباً ومرضياً عنده وما ارتضاه

الرب جل وعلا يكون عبادة لا يجوز صرفها لغيره سبحانه وإلا كان شركاً أكبر ....

" قل " يا محمد وهو عام لأمته من بعده " أعوذ " ألتجئ وأعتصم ، وطلب العوذ

يكون باللسان ومحله القلب وجرى القول باللسان كدليل على ما في القلب ،

" برب الفلق " الفلق هو الصبح ورب الفلق هو الله سبحانه ، وذلك كقوله تعالى:

" فالق الإصباح " أي مظهر النور في الصباح من ظلال الليل ، وقوله:

" برب الناس " أي معبودهم ، فالرب بمعنى المعبود في العرف الشرعي .

والاستعاذة أنواع :

أحدها : الإستعاذة بالله تعالى وهي المتضمنة لكمال الإفتقار إليه والاعتصام به

واعتقاد كفايته وتمام حمايته من كل شئ حاضر أو مستقبل ، صغير أو كبير ،

بشرأو غير بشر ودليلها قوله تعالى: " قل أعوذ برب الفلق"و" قل أعوذ برب الناس " .

والثاني : الإستعاذة بصفة من صفاته : ككلامه وعظمته وعزته ونحو ذلك ودليل ذلك

قوله صلى الله عليه وسلم " أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق " وقوله

صلى الله عليه وسلم " وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي " وقوله في دعاء الألم

" أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر "، وقوله صلى الله عليه وسلم:

" أعوذ برضاك من سخطك " وقوله صلى الله عليه وسلم حين نزل قوله تعالى

" قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم " فقال " أعوذ بوجهك " ...

والثالث : الاستعاذة بالأموات أو بالأحياء غير الحاضرين القادرين على العوذ ،

فهذا شرك ومنه قوله تعالى " وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من

من الجن فزادوهم رهقا"....

الرابع : الاستعاذة بما يمكن العوذ به من البشر أو الأماكن فهذا جائز،وعند مسلم عن

جابر أن امرأة من بني مخزوم سرقت فأتى بها النبي صلى الله عليه وسلم فعاذت بأم سلمة،

وكذلك من استعاذ من شر ظالم وجب إعاذته قدر الإمكان ...

ودليل الاستغاثة قوله تعالى " إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم " ..

والاستغاثة طلب الغوث وهو في اللغة : الإنقاذ من الشدة والهلاك ،

وفي الشرع " طلب رفع الكرب بعد نزوله " ودليله قوله تعالى :

" إذ تستغيثون ربكم " . أي حين تستغيثون ربكم ، وقوله تعالى:

" فاستجاب لكم " أي حين استغثتم به ، واستجابته سبحانه دليل رضاه عن هذا الصنيع

وما يرضاه الله جل وعلا داخل في مسمى العبادة وصرفه لغيره شرك أكبر

والاستغاثة أنواع وهي :

الأول : الاستغاثة بالله سبحانه ، وهي مراد الشيخ رحمه الله وهي أحد أنواع العبادات

التي أمرالله سبحانه بها وارتضاها من عباده، وفي بدر لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم

كثرة عدد المشركين في ألف ويزيدون ،ورأى قلة أتباعه رفع يديه إلى السماء قائلاً:

" اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض "،

وما زال يناشد ربه حتى سقط رداؤه من على منكبيه ، ونزل قوله تعالى :

" إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم " .....

الثاني : الإستغاثة بالأموات وهذا شرك أكبر ، لأنه لا يفعله إلا من كان يعتقد أن لهؤلاء

تصرفاً خفياً في الكون فيجعل لهم حظاً من الربوبية ، قال تعالى:

" وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو " الآية .....

وقوله تعالى "أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض

أإله مع الله قليلا ما تذكرون" الآيات النمل ..

الثالث : الإستغاثة بالأحياء غير الحاضرين القادرين على الإغاثة ،وهذا كالذي قبله

لأنه جعل لهم نصيباً من الربوبية ...

الرابع : الإستغاثة بالأحياء العالمين الحاضرين القادرين على الإغاثة...

وهذا جائز لقوله تعالى " فاستغاثةهالذي من شيعته على الذي من عدوه " الآية القصص.

الخامس: الإستغاثة بحي حاضر غير قادر على الإغاثة من غير أن يعتقد أن له قوة خفية..

مثل أن يستغيث الغريق برجل مشلول، وهذا يعد لغواً ولهو أو لا يجوز فعله لأمور ومنها:-

1- أنه من الإستهزاء الذي نهي الله عنه .....
2- لئلا يظن أحد انه ما استغاث به المستغيث إلا لقوة فيه على رفع الكرب ،

فيفتح بذلك باب شرك ..

ودليل الذبح قوله تعالى "قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين

لا شريك له " الآيات الأنعام ، ومن السنة "لعن الله من ذبح لغير الله "رواه مسلم .

الذبح لغة هو:الشق والمراد شق حلق الحيوانات...

وشرعاً: إراقة الدماء على وجه التقرب والتعظيم ...

والذبح يقع على أنواع وهى:-

أولها : أن يقع عبادة بأن يقصد تعظيم المذبوح له والتذلل له والتقرب إليه،

فهذا الا يكون إلا لله تعالى ، وعلى الوجه الذي شرعه، وصرفه لغير الله شرك أكبر

ودليله ما ذكره الشيخ: "قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين

لا شريك له " الآية الأنعام...

فقوله "لله رب العالمين" اللام في لفظ الجلالة للاستحقاق أي كل ذلك حق خالص لله

رب العالمين ،لا شريك له " أي في هذه الحقوق،فمن صرفها لغيره كان مشركاً..

وقوله صلى الله عليه وسلم "لعن الله من ذبح لغير الله" ،اللعن هو الطرد من رحمة

الله ،وكونه سبحانه يطرد من ذبح لغيره من رحمته دليل علي حرمة الذبح لغيره

لأنه عبادة والعبادة حق خالص له تعالى...

والثاني :أن يقع إكراماً لضيف ،أو وليمة لعرس ، فهذا مأمور به إما وجوباً وإما

استحباباً لقوله صلى الله عليه وسلم " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر

فليكرم ضيفه "،وقوله صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف :

"أولم ولو بشاة " رواهما البخاري...

والثالث : أن يقع على وجه التمتع بالأكل أو الاتجار به فهذا مباح لا بأس به ...

الرابع : الذبح للجن والشياطين للسلامة من شرهم وهذا شرك أكبر، لأن فاعله يعتقد

أن لهم قوة يؤثرون بها في الكون،كما يذبح إذا اشتري مسكناً أو سيارة أو ما أشبه ذلك

وذلك إرضاء للجن وللسلامة من شرهم ..

الخامس :الذبح للملوك والرؤساء وهذا شرك لأنه تعظيم لغيره سبحانه...

السادس: الذبح من أجل الصدقات على الفقراء والمحتاجين وهذا سنة وعبادة لله سبحانه...

ودليل النذر قوله تعالى "يوفون بالنذر ويخافون يوماً كان شره مستطيرا" الإنسان...

النذر لغة : هو الإيجاب أي: أن توجب على نفسك شيئاً لا بجب عليك ...

وشرعاً : هو " إلزام المكلف نفسه بشئ ليس واجباً ,تقرباً إلى المنذر له وتعظيماً"...

وهو نوعان :-

الأول : النذر المطلق وهو " أن يوجب علي نفسه بلا شرط "...

مثل أن يقول لله علي صوم شهر ، ولا يعلق ذلك بحصول شيء وهذا النوع

مستحب لا شئ فيه ......

الثاني : النذر المقيد وهو " أن يوجب على نفسه بشرط "

مثل أن يقول لله على صوم شهر إن شفي مريض أو رد غائبي...

وهذا النوع مكروه في مذهب جمهور الفقهاء ،وذهب شيخ الإسلام ابن تيمية إلى تحريمه..

واستدل رحمه الله على التحريم بحديث ابن عمرو فيه قال"نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم

عن النذر وقال" إنه لا يأتي بخير ، وإنما يستخرج به من البخيل "...

ومع ذلك فالوفاء بالنوعين واجب بلا خلاف بين أهل العلم ...

ووجه الدلالة من الآية :أن الله أثني عليهم لإيفائهم بالنذر وهذا يدل على

أن الله يحب ذلك منهم، وكل محبوب لله من الأعمال فهو عبادة ...

وعلي هذا فالنذر لأصحاب القبور من الشرك الأكبر ..

* * *

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب :

الأصل الثاني : معرفة دين الإسلام بالأدلة، وهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله، وهو ثلاث مراتب : الإسلام، والإيمان، والإحسان ؛ وكل مرتبة لها أركان، فأركان الإسلام : خمسة والدليل من السنة : حديث ابن عمر رضي الله عنهما، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " بني الإسلام على خمس، شهادة أن لا إلَه إلا ّ الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام، من استطاع إليه سبيلاً، والدليل قوله تعالى :

(ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين)

ودليل الشهادة قوله تعالى : (شهد الله أنه لا إلَه إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إلَه إلا ّهو العزيز الحكيم) [آل عمران 18] ومعناها : لا معبود بحق إلا ّ الله ؛ وحد النفي من الإثبات : لا إلَه نافياً جميع ما يعبد من دون الله، إلا الله مثبتاً العبادة لله وحده، لا شريك له في عبادته، كما أنه لا شريك له في ملكه .

وتفسيرها الذي يوضحها قوله تعالى : (وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون، إلا الذي فطرني) وقوله تعالى : (قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم

أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً)

ودليل شهادة : أن محمداً رسول الله، قوله تعالى : (لقد جاءكم رسول من أنفسكم

عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) ومعنى شهادة أن محمداً

رسول الله : طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر،

وأن لا يعبد الله إلا بما شرع .

ودليل الصلاة، والزكاة، وتفسير التوحيد، قوله تعالى : (وما أمروا إلا ليعبدوا الله

مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة)

ودليل الصيام قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين

من قبلكم لعلكم تتقون) ودليل الحج قوله تعالى : (ولله على الناس حج البيت من استطاع

إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين).

المرتبة الثانية : الإيمان، وهو بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إلَه إلا ّ الله،

وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان، وأركانه :

ستة، أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الأخر ، والقدر خيره وشره

كله من الله .والدليل قوله تعالى : (ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب

ولكن البر من آمن بالله واليوم الأخر والملائكة والكتاب والنبيين) ودليل القدر قوله تعالى :

(إنا كل شيء خلقناه بقدر)،

المرتبة الثالثة : الإحسان، ركن واحد، وهو : أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه،

فإنه يراك، والدليل قوله تعالى : (إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون)

وقوله تعالى : (ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى)

وقوله تعالى : (الذي يراك حين تقوم، وتقلبك في الساجدين) وقوله تعالى :

(وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً

إذ تفيضون فيه) .

والدليل من السنة : حديث جبريل المشهور عليه السلام، عن عمر رضي الله عنه، قال :

" بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ دخل علينا رجل،

شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يري عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد،

حتى جلس عند النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على

فخذيه، فقال يا محمد : أخبرني عن الإسلام ؟ قال : أن تشهد أن لا إلَه إلاّ الله، وأن

محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت الحرام،

إن استطعت إليه سبيلاً ؛ قال صدقت " فعجبنا له : يسأله، ويصدقه .

قال : " أخبرني عن الإيمان ؟ قال : أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الأخر ،

والقدر خيره وشره ؛ قال : صدقت ؛ قال أخبرني عن الإحسان ؟ قال : أن تعبد الله كأنك

تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك ؛ قال : صدقت قال أخبرني عن الساعة ؟ قال : ما المسؤول

عنها بأعلم من السائل ؛ قال : أخبرني عن أماراتها ؟ قال : أن تلد الأمة ربها، وأن ترى

الحفاة، العراة، العالة، رعاء الشاء، يتطاولون في البنيان " فمضى فلبثنا ملياً، فقال

النبي صلى الله عليه وسلم " يا عمر : أتدرون من السائل ؟ قلنا الله ورسوله أعلم ؟

قال : هذا جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم " .

* * *

الشرح: الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام بالأدلة "..

أي الأصل الثاني من الأصول الثلاثة التي يجب معرفتها والعمل بها...

"معرفة" هي العلم والإدراك ولا فرق بين الثلاثة عند المحققين من أهل اللغة ...

والمراد المعرفة التى تبني على الجزم ولهذا قال بالأدلة ....

"دين الإسلام" الدين لغة : الطاعة يقال :دان له إذا أطاعه فيما أمر وترك ما نهى ...

ويراد به الحساب كما في قوله تعالى " مالك يوم الدين " الآية ...

والدين شرعاً "ما شرعه الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم"...

وقوله "دين الإسلام "هذه إضافة بيانية" وهى ما يكون المضاف إليه فيها خبراً عن المضاف"

والمعنى :دين هو الإسلام ...

و"الإسلام" له معنيان : إسلام قدري كوني وهذا يشترك فيه جميع الخلق مؤمنهم

وكافرهم وبرهم وفاجرهم ودليله قوله تعالى:

"وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً" الآية..

و"من " فى الآية موصولة فتعم وتأتى بمعنى كل أي كل من في السموات والأرض..

فالكل مستسلم لحكم الله الكوني لا يسعه الخروج عليه...

والثاني: إسلام شرعي وهو توحيد الله تعالي...

والإسلام الشرعي نوعان:-

إسلام عام : وهو إفراد الله بالتوحيد والطاعة وبه جاء جميع الأنبياء والمرسلين....

والثاني إسلام خاص: وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وختم به جميع الرسالات...

"بالأدلة" أي معرفة الإسلام معرفة مبنية علي الأدلة أي بالنظر في الكتاب والسنة...

وقد مر بنا الكلام علي هذه المسألة وهى"صحة إيمان المقلد"، بمعني:

هل يكفي في الإيمان مجرد الاعتقاد والإقرار وإن كان مبنياً على التقليد

بسؤال العلماء؟أم يشترط النظر في الأدلة لصحة الإيمان ؟

والصحيح أنه يصح التقليد لاكتفائه صلى الله عليه وسلم بالإقرار فى ثبوت

عقد الإيمان مع عدم اشتراط النظر في الأدلة ولو كان هناك شرط زائد على

الإقرار لدل عليه الشرع ،لأن التوحيد والإيمان أمر عام ، ولم يأت ما يدل علي

اشتراط النظر فى الأدلة إلا عمومات مدفوعة بفعله صلى الله عليه وسلم في قبول

إسلام الناس مع عدم اشتراط النظر.

لكن يشترط الجزم في المعتقد قولاً واحداً عند عامة أهل العلم ...

وعلى هذا : فمن سأل عالماً وأفتاه بأصول الإسلام الصحيحة، هل هو مؤمن أم لا.؟

الصواب الأول وقد حكي النووي علي إجماع العلماء....

إذن قوله بالأدلة فيه تفصيل لا بد منه، والظاهر خلاف ما ذهب إليه، لأن التوحيد

والإيمان أمر عام رفع الحرج فيه لازم لعموم الحاجة ، والبعض قال يكفى مرور

الأدلة على سمعه ،وهو باطل لأن الشرع يبحث في المعاني لا في الألفاظ ..

قال:"وهو : الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك وأهله "...

وهذا هو معنى الإسلام في الشرع ، والإسلام حقيقة شرعية قائمة على دلالة الكتاب

والسنة لا على دلالة العرف ولا على دلالة اللغة، فالذي يبين حقيقته هو الشرع لا غيره ...

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية " يجب الرجوع في بيان مسميات الألفاظ إلى بيان الله

ورسوله , فإنه شاف كاف " أ.هـ .." انظر كتاب الإيمان..

"والاستسلام " هو الانقياد والخضوع والإذعان ، وقال بعضهم:

الاستسلام مشتق من التسليم بمعنى أسلم وانقاد ، وقيل من المسالمة وهى

عدم المنازعة، أن يقبل شريعته ولا ينازع شرعه ولا يعارضه ..

"لله" وحده لا شريك له ، فمن استسلم لله وحده فهو الموحد ، ومن استسلم لله

ولغيره فهو المشرك الهالك ، ومن لم يستسلم لله فهو كافر مستكبر..

"بالتوحيد " أل للعموم بمعنى كل أي: بكل أنواع التوحيد ، وبعضهم فسره

بالألوهية لأن النزاع كان فيه ..

" والانقياد له بالطاعة" الانقياد انفعال من قاده،وقيل من الملاينة ، أي لان وخضع .

و"الطاعة" أي: طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم والمراد امتثال الأمر

واجتناب النهى .

"والبراءة من الشرك وأهله " ،وهذا هو أصل الإسلام الأعظم ولا يصح الإسلام إلا به..

والمعنى : يتبرأ من الشرك وأهل الشرك وقد حكي الله عن خليله إبراهيم:

"إني براء مما تعبدون" الآية ..وقوله تعالى "واجنبني وبنى أن نعبد الأصنام" الآية.

وفى الآيتين براءة من الشرك وأهله وهذه البراءة مستلزمة للمعاداة للمشركين بالقلب

والبدن وعدم التشبه بهم فى أحوالهم..

" وهو ثلاث مراتب" أي الإسلام له ثلاث مراتب ، وهنا مفهوم العدد معتبر أي :

ثلاث لا أربع ولا أثنان والرتبة هى : المنزلة العالية ورتب الشئ أي نظمه..

" والإسلام" وهو المرتبة الأولي وهو أوسع هذه المراتب لأنه يشمل من لم يحصل

المرتبة الثانية والثالثة ، فكل مؤمن مسلم وليس العكس ،

"قالت الأعراب آمنا .قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا " الآية ..

وقد يكون مؤمناً ولا يكون محسناً ، ولهذا كان الإسلام أوسع المراتب لأن كل من

حصَّل الإيمان والإحسان فقد حصَّل الإسلام، وليس كل من حصَّل الإسلام حصَّل

الإيمان الإحسان ، إلا أن بينهما تداخل بحيث لا ينفك أحدهما عن الآخر والسؤال:

إذا فسرنا الإسلام بالأعمال الظاهرة فقط، فهل تكفى بمفردها في صحة الإسلام؟

والجواب : لا ، لابد من قدر مصحح للإسلام من الإيمان وهو أصل عمل القلب

من إخلاص ويقين وصدق ومحبة ،فمن أقر بالشهادتين فلا يكفيه النطق بل لا بد

من تحقيق شروطها حتى يكون منتفعا بها ولا يكفى مجرد التلفظ بها...

وقد عقد الإمام القرطبي الكبير باباً في كتابه " المفهم على صحيح مسلم ،

وعنون له قائلاً " بابٌ:لا يكفي مجرد التلفظ بالشهادتين بل لابد من استيقان القلب "

ثم قال وهذا تنبيه على فساد مذهب المرجئة القائلين بأن التلفظ بهما كاف في الإيمان ،

هكذا قاله بمعناه،وكذلك الإيمان إن فسرناه بأعمال القلوب الباطنة ،فهل تكفي بمفردها من غير ما يدل عليها من الأعمال الظاهرة ؟ الجواب:لا، لا تكفي بل لابد معها من عمل ظاهر يدل عليه، حينئذ نقول:

الصواب أن يقال : إذا اجتمع الإسلام والإيمان دل الإسلام على الأعمال الظاهرة، مع قدر مصحح لها من الأعمال الباطنة ، ودل الإيمان على الأعمال الباطنة مع قدر مصحح من الأعمال الظاهرة ، وإلا وقعنا في إشكال وهو :

حصر الإسلام في عمل الظاهر مع عدم اعتقاد القلب وبهذا يصير المنافق مسلماً ...

وحصر الإيمان في عمل الباطن وبهذا يحكم لمن ترك العمل بالإيمان ،

إذاً لابد من قدر مصحح،وأمورالتوحيدوالإيمان لا يجوزفيها الكلام المجمل الذي يؤدي إلى الشبه والإلتباسات ، لابد من توضيح وتفصيل ..

" كل مرتبة لها أركان " أي الإسلام والإيمان والإحسان ، كل مرتبة من هذه الثلاث لها أركانها ، والركن هو " جانب الشئ الأقوى،

" واصطلاحاً " جزء الماهية التي لاتوجد حقيقته بدونها، " وشرعاً :

" ما يفوت الإسلام بفواته "، والذي يعنينا مراد الشرع لأن الكلام في قضايا شرعية والرجوع في تفسير معانيها إلى الحقيقة الشرعية ..

" فأركان الإسلام خمسة " أي جوانبه التي يقوم عليها خمسة ، وقد جاءت في حديث ابن عمر عند مسلم " بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلاالله، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت الله الحرام "، وزاد بعضهم ركناً سادساً وهو " الكفر بما يعبد من دون الله " وليس صحيحا كونه ركناً سادساً ، لأنه صلى الله عليه وسلم نصَّ على أنها خمسة لا غير ، ولأن هذا الركن داخل في مسمى التوحيد فلا حاجة لتخصيصه

بالركنية ، بل هذا من تصرف الشرع ويحتاج إلى دليل،

" شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله " ..

وهما في الحقيقة شهادتان وقد جعلهما شيئاً واحداً وذلك لأمرين :

الأول : لأن شهادة أنْ لاَّ إله إلا الله أصل، وشهادة محمد رسول الله فرع ،

وإذا ذكر الأصل ذكر معه الفرع ،لارتباطهما وبناء الثاني على الأول فلا يصح بدونه ...

والثاني : أن العبادة مبنية على الإخلاص والإتباع وهما مدلول الشهادتين , الإخلاص مدلول لا إله إلا الله ومعناها , والإتباع مدلول محمد رسول الله ومعناها ولهذا جعلهما أصلاً واحداً .

" شهادة " الشهادة هي : الاعتقاد الجازم المبني على العلم ، ولهذا كذَّب الله

المنافقين في دعواهم الشهادة بالرسالة ،لأنهم لم يكونوا يعتقدون ما نطقت به

ألسنتهم، قال تعالى: " إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم

إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكذابون" ، كذبهم في شهادتهم ، وإن كان ما

شهدوا به حق ولاشك ، وذلك لأن دعواهم خلت من الاعتقاد ...

والأصل في الشهادة أن يكون المشهود مرئياً أو مسموعاً والمسموع في قوة

المرئي ولهذا روى " أرأيت الشمس، على مثلها فاشهد " وفيه ضعف

ومعناه صحيح ، والشهادة في الشرع " الإقرار المتضمن للعلم والإخبار " ،

شهد : أي أخبر وبين وحكم وقضى وأعلم لابد من الإعلام .

" أن لا إله إلا الله " أي لا معبود بحق إلا الله سبحانه ، لا هي النافية للجنس

وتسمى لا التبرئة ، وهي التي تنفي الخبر عن جميع أفراد جنسها وتبرئه منها ،

وخبرها محذوف وتقديره: حق أي: لا يستحق أن يعبد إله سوى الله عز وجل وحده،

وإله فعال بمعنى مفعول أي مألوه، وله نظائر في لسان العرب :

" فراش بمعنى مفروش ، وكتاب بمعنى مكتوب وهكذا .. "..

وإله منه أله يأله إلاهة أي عبد يعبد عبادة ، والإله اسم جنس يستعمل في الإله

الحق والباطل ، قال تعالى " أرأيت من اتخذ إلاهه هواه " ، سمى الهوى إلها

وقوله تعالى " وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله "، إذاً الإله يطلق على

كل من عبد سواء كان مستحقاً أم لا ....

"لا إله إلا الله " لا النافية للجنس وإله اسمها مبنى على الفتح في محل نصب ،

والخبر محذوف وتقديره حق ، وإلا أداء استثناء ملغاة , ولفظ الجلالة فيه وجهان :

الأول : بدل من الضمير المستتر في خبر لا المحذوف وتقديره " هو " ،

الثاني : النصب على الاستثناء والأول أصح ، ولا يجوز تقدير الخبر بـ " موجود " ،

لأن المعني حينئذ لا إله موجود إلا الله ، فكل ما يعبد هو الله ، وهذا هو الاتحاد ،

لأن التقدير: كل معبود هو الله ، هذا اتحاد وحلول،وتقديرالخبر حق هومدلول الشرع،

" لا إله إلا الله " اشتملت على النفي والإثبات وهما ركناها ولا يتم التوحيد إلا بهما،

, ودليل ذلك قوله تعالى " وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو " ، نص هنا على إثبات

العبودية له سبحانه وهذا إثبات، ونفاها عن غيره وهذا نفي وبهذا يتم التوحيد ،

لا إله نفي لكل ما يعبد من دون الله ومعنى ذلك أنها تنفي أن يكون هناك

من يستحق أن يعبد سواه سبحانه..

" إلا الله" إثبات العبادة لله وحده وأنه هو المستحق لها دون ما سواه وهذا المعنى

قررته الآية " ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه الباطل " .....

فهناك إله بحق أي مستحق للعبودية لأنه هو الخالق المالك المدبر ، وهناك آلهة

بباطل وهي كل من سوى الله تعالى التي لا تملك لنفسها فضلاً عن غيرها نفعاً

ولا ضراً فهي مخلوقة لله سبحانه فكيف تعبد ؟ ...

قال " فدليل الشهادة قوله تعالى " شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط " .....

قوله " شهد " أي قضى و قرر وأعلم وأخبر أنه " لا إله إلا هو " لا يستحق العبادة

إلا هو ، وشهد بذلك الملائكة وهم عمار السموات ، وأولو العلم وأولهم الرسل والأنبياء والعلماء، " قائما بالقسط " حال من شهد أي: حال كونه قائماً بالقسط وهو العدل، وهذه الشهادة أعظم شهادة لعظم الشاهد سبحانه والمشهود به وهو إلوهيته، قال " ومعناها : لا معبود بحق إلا الله وحده " لا إله " نافياً جميع ما يعبد من دون الله " إلا الله " مثبتاً العبادة لله وحده،لا شريك له في عبادته ، كما أنه لا شريك له في ملكه " هنا قرر ركني لا إله إلا الله من النفي والإثبات، ولا يتم التوحيد إلا بهما ، وهي لا تنفي الآلهة فهذا متعذر ، إنما تنفي استحقاق هذه الآلهة لأن تعبد من دون الله ، وتقرر أن العبادة حق خالص لرب العالمين لا شريك له فتنبه لذلك فإنه مهم ..

ثم قال " وتفسيرها الذي يوضحها " ..

أي: وتفسير لا إله إلا الله الذي يوضح معناها، وما دلت عليه هو الآيتان اللتان ذكرهما، الأولى حكاها عن إبراهيم عليه السلام والثانية حكاها عن محمد رسوله صلى الله عليه وسلم .

" وإذ قال إبراهيم " وإبراهيم هو خليل الرحمن وإمام الأنبياء والمرسلين ..

" لأبيه " هو آزر وهو الظاهر ولا يلتفت إلى من فسره بعمه فإنه خلاف الظاهر ، " إنني براء مما تعبدون " هذا هو النفي بمعنى لا إله ، والمعنى إنني تبرأت من كل آلهتكم التي تعبدون من دون الله سبحانه ، " إلا الذي فطرني " أي: خلقني ابتداء على الفطرة وهذا هو الإثبات "إلا الله" ..

. وقوله تعالى " قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله " والأمر هنا للنبي محمد صلى الله عليه وسلم لمناظرة أهل الكتاب من اليهود والنصارى، والكلمة السواء هي " أن لا نعبد إلا الله "، وفيها النفي: " أن لا نعبد "، والإثبات: " إلا الله "، وبهذا احتج رحمه الله بالآيتين على النفي

والإثبات الموضحان لمعنى لا إله إلا الله إذاً تفسيراها بالنفي والإثبات

تفسير شرعي دل عليه الكتاب والسنة ..

وهذه الكلمة دلت على أصول اعتقادية عليها مدار الدين ومنها :-

أولاً : دلت على إفراد الله بالعبادة والنسك والشعائر كما قال تعالى:

" واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا " ، فلا ركوع ولا سجود ولا تعظيم ولا خوف

ولا رجاء ولا رغبة ولا رهبة ولا محبة ولا ذل ولا ذبح ولا نذر إلا لله الواحد الأحد ..

وثانيها : إفراد الله بالولاء ، قال تعالى " أفغير الله أتخذ ولياً " ، فالذي يحب ويفرد

بالمحبة هو الله وحده , وبمحبته يحب أهل التوحيد والإيمان ويوالون كما قال

سبحانه " إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا " ....

وثالثها : إفراد الله بالحكم ، قال تعالى " إن الحكم إلا لله " ، فالذي يحلل ويحرم

هو الله عز وجل ، هذه الأصول الثلاثة أي النسك والولاء والحكم دلت عليها

لا إله إلا الله تضمناً والتزاماً والجهل بها يكون سبباً في الوقوع في الشرك

لأنها هي حقيقة لا إله إلا الله ...

وحق هذه الكلمة فعل الواجبات وترك المحرمات ، لأنها تستلزم الانقياد لله

عز وجل ، وقد دلت لا إله إلا الله على أنواع التوحيد الثلاثة ، فقد دلت على

الألوهية صراحة والألوهية تتضمن الربوبية وما ثبت له وصف الربوبية وكونه

مألوها معبوداً لابد وأن يسمى ويوصف وإلا كان عدماً ، تعالى الله عن ذلك،

ولهذا قال بعض السلف : المشبه يعبد صفاء المعطل يعبد عدما والموحد يعبد إله

السماء والأرض ، قال ابن تيمية : " وشهادة أن لا إله إلا الله فيها الإلهيات " ...

أراد بذلك أنواع التوحيد الثلاثة ، حينئذ من قال من أهل البدع أن الإله هو الخالق القادر

على الإختراع قلنا له : هذا خطأ من وجهين :

الأول : من جهة الشرع فالإله هو المعبود الذي يفرد بالعبادة بلا شريك وهو معنى لا إله إلا الله ، والتوحيد أمر شرعي يعرف من جهة الشرع .

والوجه الثاني : أن دلاله لفظ الإله على المألوه المعبود تكون بالمطابقة وأما كونها تدل على الخالق فإنما هي بالتضمن، فالألوهية تتضمن الربوبية ، وأما كون الإله بمعنى الخالق القادر على الإختراع بالمطابقة فباطل من جهة الشرع واللغة .

ودليل شهادة أن محمداً رسول الله قوله تعالى :" لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم "،والمراد الدليل النقلي من القرآن .

" من أنفسكم " أي من جنسكم ومن قومكم تعرفون نسبه وصدقه .

" عزيز عليه ما عنتم " أي يشق عليه ما يشق عليكم .

" حريص عليكم " أي على هدايتكم .

" بالمؤمنين رؤف رحيم " لا بغيرهم ، وخص المؤمنين بذلك لأنه مأمور بجهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم ، وهذه الأوصاف لرسول الله صلى الله عليه وسلم تدل على أنه رسول الله حقاً، ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله :

طاعته فيما أمر وتصديقه فيما أخبر واجتناب ما عنه نهى وزجر وألا يعبد الله إلا بما شرع " ...

من مقتضيات هذه الشهادة طاعته صلى الله عليه وسلم فيما أمر واجتناب ما نهى عنه ..

وتصديقه أي نسبته إلى الصدق فيما أخبر به من الغيب والشهادة ...

وقوله " وأن لا يعبد إلا بما شرع " يتضمن أصلين عظيمين :-

عبادة الله وحدة والتزام شريعته سبحانه الذي جاء بها محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما الإخلاص والاتباع ...

ثم ذكر رحمه الله الصلاة والزكاة والصيام والحج وهذه تفسر في مظانها من كتب الفروع .

قال : " المرتبة الثانية : الإيمان " ....

أي من مراتب الدين،وقد ذكر الإسلام أولاً ثم ثنى بالإيمان ،والقاعدة العامة أن الإسلام والإيمان إذا اجتمعا افترقا وإذا افترقا اجتمعا، فإذا أفرد الإسلام صار عاماً أي شمل الدين كله اعتقادا و قولاً وعملاً، وإذا أفرد الإيمان صار عاماً شمل الدين كله اعتقاداً وقولاً وعملاً ...

وأما إذا اجتمعا دل كل واحد على معنى خاص به ، دل الإسلام على عمل الظاهر ودل الإيمان على عمل الباطن والعمدة في ذلك حديث جبريل عليه السلام ...

حينئذ نقول : الإيمان له إطلاقان عام وخاص، والإطلاق العام له معنيان لغوي وشرعي...

الإيمان لغة : التصديق قال تعالى " وما أنت بمؤمن لنا " ، أي بمصدق لنا وقوله تعالى " فآمن له لوط " ، أي صدقه ، وهذا التصديق ليس على إطلاقه بل لابد أن يتضمن معنى الإقرار ، لماذا ؟ لأن التصديق مصدر صدقه هذا تعدي بنفسه فنصب مفعولاً ولم يكتف بفاعله، وأما آمنه فلا يتعدى بنفسه بل لابد من واسطة، يقال :آمن له ، آمنه خطأ، بل آمن له كما في الآية " فأمن له لوط " ، وحينئذ لا يفسر اللازم وهو الإيمان بالمتعدي وهو التصديق ، وإن كان التصديق هو جزء من معنى الإيمان ، إلاَّ أنَّ الإيمان يتضمن معنى الإقرار ، إذاً الإيمان تصديق وزيادة وهذه الزيادة هي الإقرار ، ولهذا فسَّره بعضهم بالإقرار، ولا إقرار إلا بتصديق، وقد فصَّل هذه المسألة ابن تيمية في الإيمان الكبير وانتهي "رحمه الله" إلى ما ذكرتُه من كون التصديق يتضمن معنى الإقرار ، وما ذكرته مستفاد من كلامه رحمه الله ونور قبره ، وبعضهم يفرق بين ما كان متعدياً باللام وما كان متعدياً بالباء، فما كان باللام فسره بالمعني اللغوي وهو التصديق " وما أنت بمؤمن لنا " ، وما كان بالباء فسره بالمعنى الشرعي " آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه "، وفرق

بين المتعدي باللام والمتعدي بالباء .

الإيمان شرعا : هو " اعتقاد القلب وإقرار اللسان وعمل الجوارح ،

يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي " هذا مذهب أهل السنة والجماعة ...

وهو بهذا يشمل الدين كله اعتقاداً وقولاً وعملاً ، قال ابن تيمية:

" لفظ الإيمان إذا أطلق يراد به ما يراد بلفظ البر، وبلفظ التقوى وبلفظ الدين،

فكل ما يحبه الله ورسوله يدخل في اسم الايمان " ، انظر كتاب الإيمان ..

والإيمان من مسميات الشرع ،إذاً هو حقيقة شرعية ينظر في بيان معناه إلى

الكتاب والسنة كما قرر شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالة الإيمان الكبير .

والعمل بهذا يدخل في مسمى الإيمان دخولاً أولياً ، وقد دل على هذا

الكتاب والسنة والإجماع ...

فأما الكتاب فقوله تعالى " وما كان الله ليضيع إيمانكم " ، قال النووي رحمه الله:

" أجمعوا على أن المراد صلاتكم "، والمراد صلاتكم الأولى إلى بيت المقدس

والصلاة عمل ظاهر والقاعدة " إذا أطلق الكل مراداً به الجزء، دل ذلك على أنَّ

الكل ينتفي بانتفاء الجزء " هذه قاعدة مشهورة في لسان العرب ...

هنا أطلق الكل وأراد به الجزء ، دل على ماذا ؟ دل على أن الكل يزول بزوال

هذا الجزء ويوجد بوجوده، والجزء هنا هو الصلاة ،والصلاة عمل وقد سماها

إيماناً فدل ذلك على أن العمل من الإيمان ، وقد استدل ابن القيم بهذه الآية

على كفر تارك الصلاة في رسالة " الصلاة وحكم تاركها "، والآيات في هذا

المعنى كثيرة والمقام لا يسع التفصيل ، وأما السنة فحديث وفد عبد القيس ،

قال صلى الله عليه وسلم : " آمركم بالإيمان بالله، "، ثم قال لهم:

" أتدرون ما الإيمان بالله ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال :

" شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ،

وصوم رمضان ، وفيه الدليل على أن العمل من الإيمان ...

هنا فسر الإيمان بالعمل الظاهر، وفيه الدليل على أن العمل من الإيمان ...

وأما الإجماع فحكاه شيخ الإسلام في كتاب الإيمان والقاسم بن سلام في

الإيمان له وغير واحد ...

قال الأوزاعي " كان من مضي من السلف لا يفرقون بين العمل والإيمان "

وهذا يدل على أن العمل ركن من الإيمان يفوت الإيمان بفواته ...

والبخاري يقول " لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار ، فما رأيت

أحداً منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص "، حينئذ نقول:

الإيمان بالمعنى العام هو " الدين كله قولاً وعملاً واعتقاداً " ...

والعمل ركن في الإيمان ،يفوت الإيمان بفواته،وذلك بالكتاب والسنة والإجماع ...

والإطلاق الثاني للإيمان هو الإطلاق الخاص،أن يطلق مقروناً بالإسلام كما في حديث جبريل،وحينئذ يراد به الإعتقاد القلبي مع قدر مصحح لهذا الإعتقاد ...

والإسلام يراد به عمل الظاهر مع قدر مصحح له من عمل الباطن، لأن هذه المسميات متداخلة لا ينفك بعضها عن بعض ، فالقسمة ليست متباينة ، لإن هناك ارتباطا بين الظاهر والباطن،فلا ينفصل أحدهما عن الآخر ...

فإذا وجد الإخلاص والمحبة والخوف والخشية لزم من ذلك أن يوجد عمل الجوارح ،

ولا يمكن أن توجد هذه الأعمال القلبية ولا تتبعها الجوارح بالعمل، هذا محال ...

إذا انتفى الظاهر دل على انتفاء الباطن ، واذا انتفى الباطن استلزم انتفاء الظاهر ...

ولذلك الأقسام ثلاثة لا غير وهي :-

الأولى : من آمن ظاهراً وباطناً ، والثاني : من كفر ظاهراً وباطناً

والثالث : من آمن ظاهراً وكفر باطناً وهم المنافقون ...

وهل يوجد قسم رابع ؟ القسمة العقلية تقتضي قسماً رابعاً ، ومن هنا جاء الإشكال الذي دخل على الأشاعرة وغيرهم فأوجدوا قسماً رابعاً وهو : من آمن باطناً لا ظاهراً، وبهذا أخرجوا العمل من مسمى الإيمان تتميماً للقسمة .

وهذه القسمة لا وجود لها في الشرع ، بل هي داخلة في القسم الأول وهو من كفر ظاهراً وباطناً، وذلك أنه لو تُصور وجود الإخلاص والمحبة بلا عمل فهذا أيضاً كفر، إذاً الإيمان له معنيان ، عام وخاص ، فالعام وقع فيه النزاع عند المتأخرين ، منهم من وافق إجماع السلف على أنه قول وعمل ، ومنهم من خالف وأخرج العمل من مسماه وهؤلاء هم المرجئة وقولهم باطل لا أصل له، وأما المعنى الخاص للإيمان فلا نزاع فيه ..

والإيمان عام في نفسه وخاص من جهة أهله ، فالعموم حيث يشمل الإسلام وزيادة، فدائرته أوسع من حيث الدلالة المعنوية على مسماه ، والخصوص من جهة أهله ، فأهله هم صفوة أهل الإسلام ، فليس كل مسلم مؤمناً ، بل هم فئة من المسلمين ترقت إلى مقام الإيمان ...

والإسلام على العكس خاص في نفسه من حيث العمل الظاهر فقط ، وعام من جهة أهله فيشمل من حقق الإسلام ، ومن ترقى إلى الإيمان والإحسان، فأهله كثر ودائرة أهله أوسع ..

والإحسان عام من جهة نفسه يشمل الإسلام والإيمان ، خاص من جهة أهله، فأهله هم صفوة أهل الإيمان ، فليس كل مسلم محسناً ، وليس كل مؤمنا محسنا ، وإن كان كل محسن مؤمناً مسلماً ...

قال : " وهو بضع وسبعون شعبة ، فأعلاها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان " ...

وهنا إشكال وهو : أنه ذكر الدين بمراتبه ، فبدأ بالإسلام وثنى بالإيمان وبعده الإحسان ، إذاً أراد هنا الإيمان من حيث هو قسيم الإسلام في حالة الافتراق ،

أي بالمعنى الخاص الدال على اعتقاد القلب ، ثم فسره بالمعنى العام وعرَّفه

بالحديث المشهور وهذا في ظاهره خلط ، وليس كذلك ، فإنه لما ذكر الإيمان

أراد أن يُعرَّفه من حيث العموم، ثم ذكر أركانه باعتبار معناه الخاص ،

إذاً قوله: " وهو " أي الإيمان بالمعنى العام، وقوله :" وأركانه "، الضمير

عائد على الإيمان بالمعنى الخاص ، إذا لا إشكال هنا على التحقيق ...

" وهو " أي الإيمان بالمعنى العام " بضع " بكسر الباء من الثلاثة إلى التسعة

وهو من أسماء العدد ، " وسبعون شعبة "، وقد ورد في بعض الروايات وستون

" شعبة " ،والشعبة هي : الجزء من الشئ ، إذاً بضع وسبعون شعبة دل على ماذا ؟

الجواب : دل على أن الإيمان يتجزء ويتبعض ، وهذه الأجزاء قد يفوت الإيمان

بفوات بعضها،وقد لا يفوت بفوات بعضها،فهناك شعب إذا تركت زال الإيمان بزوالها،

مثل الإقراربالشهادتين للقادرعلى النطق،وهذا إجماع نقله النووي في شرح الحديث،

ومثل الصلاة يزول الإيمان بزوالها، وهو إجماع الصحابة، ونقله ابن حزم في المحلي وغيره ،

وإن كان النزاع وقع بين الفقهاء بعد ذلك في كفر تاركها ، وكذلك الكفر ذو شعب وأجزاء،

و المسألة قررها ابن القيم في"الصلاة وحكم تاركها"وهي رسالة عظيمة لا غنى عنها لطالب العلم ..

" فأعلاها ": أعظمها وأهمها وأثقلها عند الله في الميزان " قول لا إله إلا الله "، وهل القول

كاف وحده ؟ لا ، لابد من قول واعتقاد ، وقد وقع المنافقون في كفر الاعتقاد لما قالوا

بألسنتهم ما ليس في قلوبهم، " قالوا نشهد إنك لرسول الله . والله يعلم إنك لرسوله .

والله يشهد إن المنافقين لكاذبون "،اعتقدوا خلاف ما نطقوا به ، ولذلك جاءت الأحاديث

مقيدة لا إله إلا الله بشروط لا ينتفع المرء بالنطق بها بدون هذه الشروط ...

" وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ": أي إزالة الأذى،وهو ما يؤذي المارة من أحجار

وأشواك ونفايات وقمامة ، والإماطة عمل ،وهذا دليل على أن العمل داخل في مسمى الإيمان ،

لأنه أطلق اللفظ وهو " الإيمان " ثم جزئه إلى قول وعمل بالجوارح وهو الإماطة، وعمل بالقلب وهو الحياء..

" والحياء شعبة من الإيمان "..

الحياء : صفة انفعالية تحمل المرء على الخجل من فعل القبيح ، وهذه الرواية التي فسر بها النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان بالقول وعمل الجوارح وعمل القلب تدل على ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة من كون الإيمان " اعتقاد وقول وعمل " ....

" وأركانه ستة " الضمير يعود على الإيمان بالمعنى الخاص ...

والركن لغة : هو " جانب الشئ الأقوى " ...

واصطلاحاً : " جزء من ماهية الشئ وداخل فيه "

وشرعاً : " ما يفوت الإيمان بفواته " أو " ما لا يصح الإيمان إلا به "

" ستة " والدليل حديث جبريل الطويل ...

" أن تؤمن بالله " هذا هو الركن الأول والأعظم الذي تتفرع منه باقي الأركان الستة وتنبنى عليه، والمعنى : أن تصدق تصديقاً جازماً بربوبية الله تعالى وألوهيته وأسماءه وصفاته ...

وعلى هذا فهذا الركن المراد به توحيد الله جل وعلا، والإيمان بالله يتضمن أربعة أمور :-

الأول : الإيمان بوجود الله تعالى ،و الثاني : الإيمان بربوبيته،و الثالث : الإيمان بألوهيته، و الرابع : الإيمان بأسماءه وصفاته .

فأما الإيمان بوجود الله تعالى : فقد دل عليه الفطرة والعقل والشرع والحس ...

فأما الفطرة : فإن كل مخلوق قد فطره الله تعالى على الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير أو تعليم، ولا ينصرف عن هذه الفطرة إلا من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها ، وذلك لقوله صلى الله عليه وسلم " ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه ، أو يمجسانه " رواه مسلم من حديث أبي هريرة ،وقوله صلى الله عليه وسلم:

" على الفطرة " أي التوحيد وقيل الإسلام ، والمراد على الإقرار بوجود الخالق سبحانه وربوبيته قال تعالى " فطرة الله التي فطر الناس عليها " ....

وأما دلالة العقل على وجوده سبحانه فلأن هذه المخلوقات سابقها ولاحقها لابد لها من خالق أوجدها ، فهي لا يمكن أن توجد بنفسها، ولا يمكن أن توجد صدفة ..

فالشئ لا يخلق نفسه ، لأنه قبل وجوده معدوم فكيف يكون خالقاً ؟ ، ولا يمكن أن توجد صدفة لأن كل حادث لابد له من محدث ، وهذا الكون بما فيه من المخلوقات بنظامه البديع المتجانس لا يمكن أن تكون الصدفة أحدثته .

إن الشئ الذي يوجد صدفة يكون على غير نظام فى أصل وجوده، فكيف في بقائه وتطوره ، إذن هذه المخلوقات لم توجد بنفسها ولا وجدت بالصدفة ، فماذا إذن ؟

نقول: أوجدهاالله رب العالمين ، وقد ذكر الله سبحانه هذا الدليل العقلي في سورة الطور، حيث قال سبحانه " أم خلقوا من غير شئ أم هو الخالقون " ،يعني أنهم لم يخلقوا من غير خالق ولا هم الذين خلقوا أنفسهم ، فتعين أن يكون خالقهم هو الله تبارك وتعالى ، ولهذا لما سمع جبير بن مطعم رضي الله عنه ، رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة الطور وبلغ هذه الأيات وكان مشركاً يومها قال : " كاد قلبي أن يطير " رواه البخاري .

وأما دلالة الشرع على وجوده جل في علاه فالقرآن مملوء بالآيات الدالة على وجوده سبحانه وما تضمنه من المصالح والحكم التي شرعت للعباد دليل على أنها من رب حكيم رحيم ...

وأما دلالة الحس على وجوده سبحانه فمن وجهين :-

الأول : أننا نسمع ونشاهد إجابة الداعين وإغاثة المكروبين ما يدل على وجوده تعالى دلالة قاطعة ، قال تعالى " ونوحاً إذ نادى من قبل فاستجبنا له " وقال تعالى: " إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم " ، وفي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه: " أن أعرابيا دخل يوم الجمعة والنبي يخطب صلى الله عليه وسلم، فقال يا رسول الله :

هلك المال وجاع العيال , فادع الله لنا ، فرفع يديه ودعا ،فثار السحاب أمثال الجبال

فلم ينزل عن منبره حتى رأيت المطر يتقاطر على لحيته " جزء من حديث ...

والوجه الثاني : آيات الأنبياء التي تسمى المعجزات ويشاهدها الناس ويسمعون بها ، برهان قاطع على وجود مرسلهم وهو الله سبحانه ، ومن هذه الآيات انشقاق القمر فرقتين لما طلب المشركون آية من رسول الله صلى الله عليه وسلم تدل على صدقه وأنه مؤيد من الله تعالى ، وهذه هي الدلالات على وجوده سبحانه وهي كما ترى قاطعة .

والثاني : الإيمان بربوبيته : أي بأنه وحده الرب لا شريك له، قال تعالى:

" ذالكم الله ربكم " سورة فاطر، وقد أقر بذلك جميع الخلق ولم ينكره أحد سوى الشيوعية في زماننا، والمشركون الذي بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مقرون بذلك قال تعالى " ولئن سألتهم من خلقهم ليقولون الله " ، وهذا النوع يستلزم عبادة الرب جل وعلا كما قال سبحانه " يا أيها الناس اعبدوا ربكم "، ومن أقر به ولم يعبد الله فإنه لا ينفعه،بل هوكإبليس عرف ربه وكفر به،وقد مر الكلام على هذا النوع فلا حاجة للإطالة ...

الثالث : الإيمان بألوهيته :

أي بأنه وحده الإله المستحق للعبادة ولماذا ؟ الجواب :

لأنه الذي خلق البشر بلا شريك وملك بلا شريك ويدبر الأمور بلا شريك ..

قال تعالى " يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم " البقرة ...

وقال تعالى " ذلك بأن الله هو الحق، وأن ما يدعون من دونه هو الباطل، وأن الله هو العلي الكبير " الحج ...

وقد أبطل الله تعالى عبادة غيره ببرهانين عقليين :-

الأول : أن هذه الآلهة ليس فيها من خصائص الألوهية شئ ، فهي مخلوقة لا تخلق ، ولا تجلب نفعاً لعابديها ، ولا تدفع عنهم ضراً ولا تملك موتاً ولا حياة ، قال تعالى:

" واتخذوا من دون الله آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ، ولا يملكون لأنفسهم ضرا

ً ولا نفعا ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشورا " الفرقان .

الثاني : أن المشركين كانوا مقرين بربوبية الله تعالى وهذا يستلزم عبادته وحده بلا شريك،

قال تعالى " اعبدوا ربكم الذي خلقكم " البقرة .

وقد سبق بيان الألوهية بشئ من التفصيل ....

الرابع : الإيمان بأسمائه وصفاته ..

أي إثبات ما أثبته لنفسه في كتابه أو سنة رسوله من الأسماء والصفات على وجه يليق به

سبحانه،قال تعالى " ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها " الأعراف، وقال سبحانه:

" ليس كمثله شئ وهو السميع البصير " الشورى، إذن هذا التوحيد يقوم على أصلين:

الأول : الإثبات أي لكل ما سمى به نفسه سبحانه ولكل ما وصف به نفسه سبحانه،

سواء في كتابه أوعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم, قال الإمام أحمد رحمه الله :

" نصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وسلم ،

لا نتجاوز القرآن والحديث " ..

والثاني : نفي المماثلة أي المشابهة، كما قال تعالى " ليس كمثله شئ وهو السميع البصير "،

فلا أحد يشبه الله تعالى لا في أسمائه ولا في صفاته ولهذا قال بعض السلف :

" من شبه الله بخلقه كفر "، وهذا الباب آمن به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام

إيماناً مجملاً لا تفصيل فيه ،و إنما كانوا يتوسعون في معاني أسمائه ودلالاتها على مقامات

الإيمان والعبودية وهو الإحصاء الذي ذكره صلى الله عليه وسلم بقوله:

" إن لله تعالى تسعاً وتسعين اسماً مائة إلا واحدة، من أحصاها دخل الجنة " رواه البخاري ...

وقد ضل في هذا الأمر طائفتان :-

الأولي : المعطلة وهم الذين أنكروا صفات الله تعالي أو بعضا منها، وزعموا أن إثباتها

لله سبحانه يستلزم التشبيه أي تشبيه الله تعالي بخلقه ...

وهذا باطل من وجوه:

منها: أن الله تعالي هو الذي سمى نفسه بهذه الأسماء، وهو الذي وصف نفسه بهذه الصفات وأخبر أنه ليس كمثله شيء، والقول بأن إثباتها يستلزم التشبيه يلزم منه أن كلام الله تعالي متناقض ويكذب بعضه بعضاً ،وهذا محال في كلام الله تعالى...

والثاني: أنه لا يلزم من اتفاق شيئين في اسم أو صفة أن يكونا متماثلين ..

فأنت تري الشخصين يتفقان في أن كلاً منها سميع بصيرعليم ،ولكن حقيقة سمع هذا وبصره وعلمه تختلف عن الآخر، وترى الحيوانات لها أيد وأرجل وأعين، ولا يلزم من ذلك الاتفاق فى حقيقة الصفة أو المشابهة ،فإذا ظهر التباين في حق المخلوقين، فما البال بالخالق سبحانه..

والطائفة الثانية: هم المشبهة وهم الذين أثبتوا لله سبحانه الأسماء والصفات ، لكنهم شبهوا الله تعالى بخلقه وقالوا: إن الله تعالى يخاطب العباد بما يفهمون وهذه مقتضى النصوص....

والجواب: أن الله تعالى خاطب عباده بما يفهمون من حيث أصل المعنى ،أما الحقيقة والكنه فهذا غيب استأثر الله به بعلمه،فإذا أثبت الله تعالى لنفسه السمع فهذا معلوم من حيث أصل المعنى وهو "إدراك الأصوات"،لكن: حقيقة هذا السمع غير معلومة الكيفية، لأنها تتباين حتى فى المخلوقات...

وإذا أخبر الله تعالى عن نفسه بأنه استوي،فإن الاستواء من حيث أصل معناه معلوم، لكن حقيقة الاستواء غير معلومة وهكذا ولهذا قال بعض السلف:" أمروها كما جاءت بلا كيفية "...

قال" وملائكته" أي: وأن تؤمن بملائكته ،و هم مخلوقات نورانية ، قال تعالى فيهم:

" ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون،يسبحون الليل والنهار لا يفترون " الأنبياء

وهم عدد كثير لا يحصيهم إلا الله تعالى ، وفى الإسراء والمعراج أنه صلى الله عليه وسلم لمَّا

عُرج به " رفع له البيت المعمور في السماء يصلى فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا

خرجوامنه لم يعودوا" رواه البخاري من حديث مالك بن صعصعة ...

والإيمان بالملائكة يتضمن أربع أمور:

الأول: الإيمان بوجودهم ، والثاني : الإيمان بمن علمنا اسمه منهم كجبريل عليه السلام...

والثالث: الإيمان بما علمنا من صفاتهم ،كصفة جبريل عليه السلام، وانه له ستمائة جناح

وقد رواه البخاري ..

والرابع: الإيمان بما علمنا من أعمالهم التي يقومون بها بأمره سبحانه ، وقد يكون لبعضهم

أعمال خاصة ،مثل جبريل الأمين على وحى الله تعالى، وميكائيل الموكل بالقطر أي:

المطر والنبات ،وإسرافيل بالنفخ في الصور, وملك الموت وهكذا.....

وفى البخاري قوله صلى الله عليه وسلم" إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من

أبواب المسجد الملائكة يكتبون الأول فالأول، فإذا جلس الإمام طووا الصحف،

وجاءوا يستمعون الذكر"،وقد قام الإجماع على أن الملائكة أجسام نورانية ،

وليسوا قوي معنوية،وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال " خلقت الملائكة من نور"...

"وكتبه" الكتب جمع كتاب بمعنى مكتوب كفراش بمعنى: مفروش ..

والمراد الكتب التى أنزلها تعالى على رسله رحمة للخلق وهداية لهم ،

والإيمان بالكتب يتضمن أربعة أمور:

الأول : الإيمان بأن نزولها من عند الله حقاً...

والثاني: الإيمان بما علمنا اسمه منها كالقرآن والتوراة والإنجيل...

والثالث: تصديق ما صح من أخبارها ، كأخبار القرآن ..

والرابع : العمل بما أنزل الله فيها من غير ما نسخ ...

"ورسله" وهو التصديق بما أرسل الله من رسل والإيمان بهم، ويدخل فيه

الأنبياء فيجب الإيمان بهم ، والرسل هنا يقصد المعنى اللغوي ،

وهناك فرق بين الرسول والنبي .

الرسول لغة : المرسل أي المبعوث ، و اصطلاحا :

من بعثه الله إلى قوم كفار وجاءهم بشرع جديد، ولا يلزم من كونه

رسولا أن ينزل عليه كتاب بل قد يكون على كتاب من قبله، فإسماعيل

رسول وهو على شريعة أبيه إبراهيم .

قولنا : أتى بشرع جديد : أي جديد على الكفار وإن كان موجوداً عند آخرين،

والنبي لغة : مأخوذ من النبأ ومأخوذ من الارتفاع ، وأما في الاصطلاح:

فالمشهور أنه من أوحي إليه ولم يؤمر بالتبليغ، وهذا التعريف خطأ،

وعليه انتقادات، بل الصحيح أن النبي أوحي إليه وأمر بالتبليغ، ويدل على ذلك

قوله تعالى : { وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي } أي:

وما أرسلنا من نبي، وقوله تعالى { فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين }

فالنبي يبعث الله ويأمره بالتبليغ، ومن السنة حديث جابر:

" أعطيت خمساً لم يعطهن نبي قبلي، ثم قال وبعثت إلى الناس عامة

وكل نبي يبعث إلى قومه خاصة " وهو في الصحيح .

أما الفرق بين الرسول والنبي فالفرق من وجهين :

من جهة المرسل إليهم ، فالرسول مرسل إلى الكفار ، والنبي إلى المؤمنين ،

ومن جهة الشرع فالرسول أتى بشرع جديد والنبي على شريعة من قبله،

وأفضل الرسل هم أولوا العزم الخمسة (محمد وإبراهيم وموسى وعيسى

ونوح عليهم الصلاة والسلام) وأفضل الخمسة محمد ثم إبراهيم وأما

الثلاثة فمسكوت عن التفضيل بينهم فيما أعلم ، ويحتمل أن يُنزّل تفضيلهم على مقتضى

حديث الإسراء حسب طبقاتهم في السماء ويحتمل على حديث الشفاعة الطويل ، والله اعلم .

" واليوم الآخر " أي التصديق باليوم الآخر وبالحساب والعقاب والجنة والنار

وعذاب القبر ،و كل ماذكره سبحانه من أحوال الآخرة..

و الإيمان باليوم الآخر يتضمن ثلاثة أمور :

الأول: الإيمان بالبعث: و هو إحياء الموتى حين يأمر الله تعالى بالنفخ في

الصور، فيقوم الناس لرب العالمين، حفاة عراة غير مستترين،غرلا غير

مختونين ، كما أخبر سبحانه " كما بدأنا أول خلق نعيده . وعدًا علينا .

إنا كنا فاعلين"الأنبياء..

و البعث حق ثابت بدلالة الكتاب والسنة و إجماع المسلمين..

قال تعالى" ثم إنكم يوم القيامة تبعثون" المؤمنون، و قال "صلى الله عليه وسلم"

"يحشر الناس يوم القيامة غرلا" رواه البخاري..

و أجمع المسلمون على ثبوته ، و هو مقتضى الحكمة ، حيث تقتضي الحكمة أن

يجعل الله تعالى لهذه الخليقة معادًا يجازيهم فيه على ما كلفهم به على ألسنة الرسل

الكرام،لهذا قال تعالى"أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا.وأنكم إلينا لا ترجعون"المؤمنون،

الثاني : الإيمان بالحساب والجزاء ، يحاسب العبد على أعماله و يجازى عليها ، و قد

دل على ذلك الكتاب والسنة،قال تعالى"إن إلينا إيابهم .ثم إن علينا حسابهم" الغاشية،

و قوله تعالى " ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا .و إن كان مثقال

حبة من خردل أتينا بها . وكفى بنا حاسبين" الأنبياء..

و قوله صلى الله عليه وسلم " من همَّ بحسنة فعملها كتبها الله عشرحسنات .و من همَّ

بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة كاملة .فإن همَّ بها و عملها كتبها الله حسنة واحدة" البخاري،

و الثالث: الإيمان بالجنة والنار ، و أنهما المآل الأبدي للخلق , فالجنة دار النعيم ،و النار

دار الجحيم ،قال تعالى " إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك خير البرية . جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا" البينة...

" وتؤمن بالقدر خيره وشره " بفتح الدال ، هو"تقدير الله تعالى للكائنات، حسبما سبق به علمه و اقتضته حكمته " وهو يتضمن أربعة أمور :-

الأول : الإيمان بالعلم أي أن الله تعالى علم كل شئ جملة وتفصيلاً أزلاً وأبدا، سواء ما يتعلق بأفعاله أو بأفعال عباده ، قال تعالى " ما فرطنا في الكتاب من شئ " ، وقال سبحانه " مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها " ......

الثاني : الإيمان بالكتابة أي أن الله كتب كل شئ في اللوح المحفوظ كما قال تعالى: " ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض، إن ذلك في كتاب، إن ذلك على الله يسير "، وقال صلى الله عليه وسلم :" كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماء والأرض بخمسين ألف سنة " رواه مسلم .

الثالث : الإيمان بالمشيئة فكل شئ يتعلق بمشيئة الله تعالى : قال تعالى: " وربك يخلق ما يشاء ويختار " ، وقوله سبحانه " ويفعل الله ما يشاء " ، وقوله تعالى " ولو شاء ربك ما فعلوه"،وذلك سواء كان فيما يتعلق بفعله تعالى أم بأفعال المخلوقين.

الرابع : الإيمان بالخلق أي أن جميع الكائنات مخلوقة لله بذواتها وصفاتها وحركاتها " والله خلقكم وما تعلمون " ..

قال " والدليل " أي على أن الإيمان له أركان يفوت الدين بفواتها ويبقى بوجودها ، قوله تعالى " ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الأخر والملائكة والكتاب والنبيين " البقرة ، ودليل القدر قوله تعالى " إنا كل شئ خلقنه بقدر " القمر ...

نص في الآية الأولى على الأركان الخمسة ثم احتج بآية القمر على إثبات القدر ...

المرتبة الثالثة : " الإحسان "، وهو أعلى المراتب من جهة نفسه لأنه يشمل الإيمان والإسلام ، ومن جهة أهله خاص لأن أهله صفوة أهل الإيمان .

والقاعدة " كل محسن مؤمن مسلم ولا عكس "

والإحسان في اللغة : إتقان الشئ وإتمامه ، مأخوذة من الحسن وهو الجمال وضده القبح ..

وشرعاً هو " أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك "، إذن هو مقامان :

" أن تعبد الله كأنك تراه " وهذه يعبر عنها أرباب السلوك وصوفية أهل السنة بمرتبة المشاهدة، وهي أن ترى الله تعالى و تشاهده بين يديك جل وعلا ...

والمقام الثاني : " فإن لم تكن تراه فإنه يراك " وهي مرتبة الإطلاع وفيها قوله تعالى:

" الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين " ..

قال " وهو ركن واحد " وفسره بحديث النبي صلى الله عليه وسلم أي حديث جبرائيل عليه السلام، وهذا بخلاف الإسلام فهي خمسة أركان ، والإيمان ستة أركان ...

" والدليل " قوله تعالى " إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون " النمل ...

والمعية قسمان : عامة وهي لخلق الله عموماً ، وخاصة وهي للمتقين وهي التأييد والنصرة وقوله " الذي يراك حين تقوم ، وتقلبك في الساجدين " الشعراء ....

" يراك " الضمير منصوب على المفعولية ، وتقلبك معطوف عليه أي ويرى تقلبك ..

ثم ذكر حديث جبرائيل عليه السلام و تقدم بيانه فلا حاجة للإعادة .

* * *

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب :

الثالث : معرفة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم، وهو : محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب،

والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل، على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، وله من العمر ثلاث وستون سنة، منها أربعون قبل النبوة،وثلاث وعشرون نبياً رسولاً، نبيء بإقرأ وأرسل بالمدثر، وبلده مكة وهاجر إلى المدينة .

بعثه الله بالنذارة عن الشرك، ويدعو إلى التوحيد، والدليل قوله تعالى :

(يا أيها المدثر، قم فأنذر، وربك فكبر، وثيابك فطهر، والرجز فاهجر، ولا تمنن تستكثر، ولربك فاصبر) ومعنى : (قم فأنذر) ينذر عن الشرك، ويدعو إلى التوحيد (وربك فكبر) أي : عظمه بالتوحيد (وثيابك فطهر) أي طهر أعمالك عن الشرك (والرجز فاهجر) الرجز الأصنام، وهجرها تركها، والبراءة منها وأهلها .

أخذ على هذا عشر سنين، يدعو إلى التوحيد، وبعد العشر عرج به إلى السماء، وفرضت عليه الصلوات الخمس، وصلى في مكة ثلاث سنين، وبعدها أمر بالهجرة إلى المدينة، والهجرة : الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، وهي : باقية إلى أن تقوم الساعة، والدليل قوله تعالى :

(إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا، إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفورا) وقوله تعالى : (يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون) قال البغوي رحمة الله تعالى : سبب نزول هذه الآية

في المسلمين، الذين بمكة، لم يهاجروا، ناداهم الله باسم الإيمان ؛

والدليل على الهجرة من السنة قوله صلى الله عليه وسلم " لنقطع الهجرة

حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها " .

فلما استقر بالمدينة : أمر ببقية شرائع الإسلام، مثل الزكاة، والصوم،

والحج، والأذان، والجهاد، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر،

وغير ذلك من شرائع الإسلام ؛ أخذ على هذا عشر سنين ؛ وتوفي

صلى الله عليه وسلم ودينه باق، وهذا دينه، لا خير إلا دل الأمة عليه،

ولا شر إلا ّحذرها منه، والخير الذي دل عليه : التوحيد، وجميع ما يحبه الله

ويرضاه ؛ والشر الذي حذر عنه : الشرك بالله، وجيمع ما يكرهه الله ويأباه .

بعثه الله إلى الناس كافة، وافترض الله طاعته على جميع

الثقلين، الجن والإنس، والدليل قوله تعالى : (قل يا أيها الناس إني رسول

الله إليكم جميعاً) وأكمل الله به الدين، والدليل قوله تعالى :

(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً

والدليل على موته صلى الله عليه وسلم قوله تعالى : (إنك ميت وإنهم ميتون)

والناس إذا ماتوا يبعثون، والدليل قوله تعالى : (منها خلقناكم وفيها نعيدكم

ومنها نخرجكم تارة أخرى) وقوله : (والله أنبتكم من الأرض نباتاً ثم

يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً) وبعد البعث محاسبون، ومجزيون بأعمالهم،

إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، والدليل قوله تعالى : (ليجزي الذين أساءوا

بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى) ومن كذب بالبعث كفر، والدليل قوله تعالى : (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير)

وأرسل الله جميع الرسل : مبشرين ومنذرين، والدليل قوله تعالى : (رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) وأولهم نوح عليه السلام وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم وهو خاتم النبيين، لا نبي بعده، والدليل قوله تعالى : (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين) .

والدليل : على أن أولهم نوح عليه السلام، قوله تعالى : (إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده) وكل أمة : بعث الله إليها رسولاً، من نوح إلى محمد، يأمرهم بعبادة الله، وينهاهم عن عبادة الطاغوت، والدليل قوله تعالى : (ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت) .

وافترض الله على جميع العباد : الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله، قال ابن القيم : رحمه الله تعالى، معنى الطاغوت : ما تجاوز به العبد حده، من معبود، أو متبوع، أو مطاع .

والطواغيت كثيرة، ورؤسهم، خمسة، إبليس لعنه الله، ومن عبده وهو راض، ومن ادعى شيئاً من علم الغيب، ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه، ومن حكم بغير ما أنزل الله ؛ والدليل قوله تعالى : (لا إكراه في الدين قد تبين

الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى)

وهذا : معنى لا إلَه إلاّ الله، وفي الحديث : " رأس الأمر الإسلام، وعموده

الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله " والله أعلم،

وصلى الله على محمد، وعلى آله وصحبه .

* * *

الشرح" الأصل الثالث " أي من الأصول الثلاثة الواجب معرفتها والعمل بها :

" معرفة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم " وهذه المعرفة تتضمن أموراً خمسة :-

الأول : معرفة نسبه، فهو أشرف الناس نسباً ، فهو هاشمي قرشي عربي ،

فهو محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب بن هاشم إلى أخر نبي الله إسماعيل .

الثاني : معرفة سنه ومكان ولادته وإلى أي مكان هاجر ، وقد بينها الشيخ بقوله:

" وله من العمر ثلاث وستون سنة ، وبلده مكة ، وهاجر إلى المدينة، فقد ولد

صلى الله عليه وسلم بمكة وظل فيها ثلاثاً وخمسين عاماً ،ثم هاجر إلى المدينة

فبقي فيها عشر سنين , ثم توفى فيها في ربيع الأول عام إحدى عشر بعد الهجرة ..

الثالث : معرفة حياته النبوية وهي ثلاث وعشرون سنة فقد أوحي إليه وله أربعون

سنة ، كما قال بعض الشعراء :

وأتته عليه أربعون فأشرقت شمس النبوة منه في رمضان

الرابع : بماذا كان نبياً ورسولاً ؟ فقد كان نبياً حين نزل عليه قوله تعالى: " إقرأ "

ثم كان رسولاً حين نزل عليه " يا أيها المدثر ، قم فأنذر " ،فقام صلى الله عليه وسلم

فأنذر وقام بأمر الله سبحانه ..

الخامس : بما أرسل ولماذا ؟ فقد أرسل صلى الله عليه وسلم بالتوحيد الذي هو إفراد

الله بالعبادة ، ودعا الناس إليه وإلى الالتزام بشريعته صلى الله عليه وسلم ...

قال :" بعثه الله بالنذارة عن الشرك ، ويدعو إلى التوحيد " ....

إذن مهمة الرسل هي " النذارة " أي ينذر قومه عن الإشراك بالله ، ويدعوهم

إلى توحيد الله في ربوبيته وألوهيته وأسماءه وصفاته ...

قوله " أمر بالهجرة " أي من مكة إلى المدينة ، لأن أهل مكة منعوه صلى الله عليه وسلم

من دعوته ، والهجرة هي " الإنتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام " ...

وبلاد الشرك هي التي تقام فيها شعائر الكفر بوجه عام ولا تقام فيها شعائر الإسلام ..

فلا تقام فيها الصلوات ولا الآذان ولا الجمع والجمعات ولا أعياد المسلمين ، وإنما

الشائع فيها إظهار شعائر الكفر والشرك مثل دول الغرب الصليبية ...

وقول العلماء " ماكان فيها شعائر الكفر بوجه عام " هذا عن دول الكفر والشرك ،وذلك

ليشمل دول الكفر التي بها أقليات مسلمة فإنها لا تكون دار إسلام بذلك، العبرة بالغالب الأعم ...

قوله " والهجرة فريضة"...

فهي واجبة على كل مؤمن لا يستطيع إظهار دينه في بلد الكفر، فلا يتم إسلامه إذا كان لا

يستطيع إظهاره إلا بالهجرة، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب...

قال تعالى" إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم.قالوا فيما كنتم .قالوا كنا

مستضعفين فى الأرض .قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها .

فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً"النساء..

في هذه الآية دليل على ان هؤلاء الذين لم يهاجروا مع قدرتهم قد وقعوا فى الحرمة،

لأن إظهار شعائر الإسلام واجب، ولا يتحقق ذلك الواجب إلا في أرض الإسلام،

والبقاء في أرض الكفر لا يمكن معه إظهار الإسلام ، فلذلك وبختهم الملائكة وسماهم الله

"ظالمي أنفسهم"، وقد نزلت هذه الآية في مسلمي مكة الذين لم يهاجروا معه صلى الله عليه وسلم ...

مسألة : فى حكم السفر إلى بلاد الكفر...

قال العلماء إن السفر إلي بلاد الكفر لا يجوز إلا بثلاثة شروط:-

الأول :أن يكون عند المسلم علم يدفع به الشبهات ..

الثاني: أن يكون عنده دين يمنعه من الشهوة ...

الثالث : أن يكون في حاجة إلى السفر....

وذلك مثل من يذهب للعلاج، أو يتلقي علما لا يوجد في بلاد المسلمين،

وكان عنده علم ودين وبهذا لا بأس به..

أما السفر إلي السياحة فى بلاد الكفر فهذا محرم باتفاق العلماء...

وأما الإقامة في بلاد الكفر فلا بد لها من شرطين أساسين:

الأول : أن يأمن المقيم على دينه، بحيث يكون عنده من العلم والإيمان ما يطمئنه

من الثبات على الإسلام ...

الثاني: أن يتمكن من إظهار دينه ، بحيث يقوم بشعائر الإسلام بلا مانع...

وقوله " والناس إذا ماتوا يبعثون " ...

بين "رحمه الله "أن الناس إذا ماتوا يبعثون ، وذلك بعد النفخة الثانية ، ليجازيهم

الله تعالى على أعمالهم ، وهذه إشارة إلى الإيمان بالبعث واستدل له بآيتين :

" منها خلقناكم " أي من الأرض خلقناكم حين خلق آدم عليه الصلاة والسلام من تراب ..

" وفيها نعيدكم " أي بالدفن بعد الموت ، " ومنها نخرجكم " أي بالبعث يوم القيامة .

وقوله تعالى " والله أنبتكم من الأرض نباتا ، ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجا " ...

هذه الآية موافقة تماماً لقوله تعالى " منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم

تارة أخرى " وقد اهتم القرآن بهذه القضية لما لها من الأثر البالغ في هداية النفوس .

" وبعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالهم " ..

وذلك كما قال تعالى " ونضع الموازين القسط ليوم القيامة ، فلا تظلم نفس شيئا،

وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسبين " ....

" ومن كذب بالبعث كفر " بإجماع المسلمين ، لأنه تكذيب لله عز وجل ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، ولأنه إنكار لقدرة الله تعالى ...

والدليل قوله تعالى: " زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا ، قل بلى وربي لتبعثن. ثم لتنبئون بما عملتم ، وذلك على الله يسير " ...

والزعم هو الكذب ، وهذا دليل على أن إنكار البعث كفر، وإنكار البعث أحد الخصال التي كفر بها كفار مكة ، والمقصود إثبات البعث وأن إنكاره كفر وردة وهو إجماع .

قال " أرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين "، والدليل قوله تعالى:

" رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل " سورة النساء ..

هذه هي وظيفة الرسل جميعاً ، يبشرون من أطاعهم برضوان الله ورحمته ،وينذرون من خالفهم بسخطه وعذابه، ومن الحكم التي من أجلها أرسل الله الرسل الكرام ، أن تقوم الحجة الإلهية على الناس حتى لا يكون لهم عذر في مخالفة أمر الله وارتكاب نهيه .

ومن الحكم أيضا أن العقل لا يستقل بإدراك ما يحبه الله من الحقوق الخاصة به ، فلهذا أرسل رسله بالشرائع .

" وأولهم نوح عليه السلام وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم " ....

أول من أرسل الله تعالى هو نوح كما قال تعالى: " إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده " النساء، وفي البخاري في حديث الشفاعة:

" إن الناس يأتون إلى نوح فيقولون له : أنت أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض " ، فلا رسول قبل نوح عليه السلام ، ومن هنا نعلم خطأ من قال أن إدريس هو أول نبي ، وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى: " ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين " الأحزاب، فلا نبي بعده ولهذا من ادعى النبوة بعده كان كافراً مرتداً ...

" وكل أمة بعث إليها رسولاً من نوح إلى محمد ، يأمرهم بعبادة الله وحده

وينهاهم عن عبادة الطاغوت " والدليل قوله تعالى :" ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً

أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت " النحل ...

وهذا يدل على عناية الله تعالى بخلقه ورحمته بهم ، فما من أمة إلا وأرسل لها رسولاً

يبين لها الطريق الذي يجب أن تسلكه ، وهو عبادة الله وحده والكفر بكل معبود سواه ،

وهذا هو التوحيد وهو لا إله إلا الله ..

قال:" وافترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله " ...

أي أوجب وألزم جميع الخلق أن يكفروا بالطاغوت ،ويؤمنوا بالله وحده رباً وإلهاً

ومعبوداً وهذا هو التوحيد،فإنه لا يصح إلا بالإثبات والنفي،والإثبات هو عبادة الله تعالى

والنفي هو الكفر بالطاغوت أي بكل ما يعبد من دون الله تعالى ...

والطاغوت لغة : فعلوت مشتق من الطغيان وهو " مجاوزة الحد "، ومنه

قوله تعالى"إنا لما طغى الماء حملنكم في الجارية"الحاقة، يعنى لما زاد عن حده المعتاد

حملناكم في السفينة، ويقال فلان طغى أي تجاوز حده ، والطاغوتية هي التجاوز والبغي .

وشرعاً : قال ابن القيم رحمه الله :" هو كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو

متبوع أو مطاع "، وهو أحسن ما قيل في هذا الباب ..

و المعنى : أن كل شيء يوصل للكفر بالله تعالى و الإشراك به و يكون بابا لذلك

فهو طاغوت ، و فاعل هذا الكفر والشرك يسمى عابدا للطاغوت ...

وقوله " من معبود " أي كل من عبده الناس فهو طاغوت ،شريطة رضاه بذلك،

كما حكى سبحانه عن فرعون قوله " ما علمت لكم من إله غيري "، وقد جاء

على هذا المعنى قول مالك رحمه الله : " الطاغوت : كل ما عبد من دون الله "،

لكنه لا بد أن يقيده بضابط وهو " وهو راض بالعبادة " ،لأن النصارى تعبد عيسى

عليه السلام وهو لم يدعهم إلى عبادته، بل قال لهم كما حكاه لنا سبحانه:

" اعبدوا الله ربي وربكم "، وفي هذا الزمان دعا قومً إلى أن يعبدوا من دون الله

راضين بذلك ممن عبدهم وهم أصحاب الطرف الصوفية كالبدوي والرفاعي فقد ادعوا

خصائص الألوهية وهم أحياء فصدقهم الناس على ذلك ، فصرفوا لهم من العبادات ما لا

يجوز أن يصرف إلآ لله ، ادعوا معرفة الغيب وشفاء المرض ورد الغائب فتقرب

لهم فئة من الخلق بالذبائح والنذور وسألوهم ما لا يسأل فيه إلا الله الواحد ، والحاصل:

أن كل من عبد من دون الله راضياً بذلك فهو طاغوت وهذا قيد مهم ...

" أو متبوع " مثل علماء السوء الذين يفتون الناس بما يزين لهم الكفر و الشرك

و يحللون الحرام و يحرمون الحلال...

" أو مطاع " هم الحكام الذي تجاوزا حدودهم وحكموا بقوانين الجاهلية ، وألزموا الناس

بها،فهؤلاء طواغيت ،و من أطاعوهم فهم عبدة لهم..

وعرفه عمر رضي الله عنه بأنه " الشيطان " وهو أقوى ما قيل في هذا الباب كما أشار إليه

ابن كثير ، وذلك من حيث المعنى ، وتعريف ابن القيم أحسن ما قيل لأنه مفصل ...

وقوة تعريف عمر من حيث أنه اشتمل " أي الشيطان " على كل شئ كان عليه أهل

الجاهلية ، من عبادة الأوثان والاستنصار بها والتحاكم إليه وقد وضح ذلك ابن كثير ...

قوله " والطواغيت " جمع طاغوت وسبق الكلام عليه ....

" ورءوسهم خمسة " أي زعمائهم ...

" إبليس " وهو الشيطان اللعين الذي قال الله له " وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين "،

وكان إبليس مع الملائكة في صحبتهم يعمل بعملهم ، ولما أمر بالسجود لآدم عليه السلام

امتنع عن ذلك وظهر خبثه و استكباره ، فأبى وكان من الكافرين ، فطرده الله سبحانه

من رحمته ، قال تعالى " وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر

وكان من الكافرين " البقرة ، وهنا ذكر الإمام إبليس اعتماداً على قول الله تعالى:

" الذي آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت

فقاتلوا أولياء الشيطان "، فسماه الله طاغوتاً ، ولهذا عرفه عمر رضي الله عنه

بأنه " الشيطان " ..

" ومن عبد وهو راضٍ "...

وقد نص عليه مالك رحمه الله ، فكل من عبد من دون الله وهو راض بذلك سواء

في حياته أو بعد مماته فهو طاغوت ،ولكن لابد من القيد الذي ذكره الإمام

رحمه الله وهو أن يكون راضياً بذلك ...

" ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه " أي وإن لم يعبدوه فهو طاغوت ...

" ومن ادعى شيئاً من علم الغيب " ،والغيب لا يعلمه إلى الله سبحانه ، وعلم الله به دليل

على كمال علمه، فإنه يعلم ما كان وما يكون، وعلمه مطلق ، ولهذا كان الغيب والعلم

به من خصائص الألوهية لأنه دليل على القدرة المطلقة ...

فمن ادعاه كان مدعيا شيئا من خصائص الألوهية والربوبية، ولهذا جعله الإمام من

رؤوس الطواغيت .

والغيب هو " ما غاب عن الإنسان " وهو نوعان :

" واقع " و " مستقبل " ،فغيب الواقع قد يكون معلوماً لشخص ومجهولاً لآخر ،

وأما غيب المستقبل فلا يعلمه إلا الله سبحانه أو من أطلعه من رسله الكرام ..

ولهذا من ادعى علمه كفر لأنه مكذب لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم ،

قال تعالى " قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلى الله ، وما

يشعرون أيان يبعثون " النمل ، فالله وحده هو الذي يعلم الغيب .

" ومن حكم بغير ما أنزل الله " ....

أي فهو طاغوت، لأنه تجاوز حده وحكم بغير ما أمر الله به ، والحكم بما أنزل الله تعالى من توحيد الربوبية ، لأنه تنفيذ لحكم الله الذي هو مقتضى ربوبيته وكمال تصرفه ، ولهذا سمى الله من اتبع الذي يشرعون بالأهواء والضلالات، أنهم اتخذوهم أرباباً

قال تعالى " اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، والمسيح بن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً ، لا إله إلا هو , سبحانه عما يشركون " التوبة ....

فسمى الله المتبوعين أرباباً لأنهم شرعوا للناس،وسمي الذين اتبعوهم عباداً لأنهم أطاعوهم في التشريع ، والطاعة في التشريع كالسجود والركوع ...

فكما أن السجود لله وحده فالحكم لله وحده ، فمن تحاكم إلى غير الله كان كمن سجد لغير الله ، وقد قال عدي بن حاتم لرسول الله إنهم لم يعبدوهم فقال صلى الله عليه وسلم:

" إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام ، فاتبعوهم فتلك عبادتهم إياهم " ...

قال شيخ الإسلام ابن تيمية " ولا يب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر " انظر منهاج السنة النبوية...

وقال ابن كثير معلقاً على قوله تعالى"أفحكم الجاهلية يبغون"ذكر الياسق ثم قال:

" فمن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله ، فلا يحكم سواه في قليل أو كثير "أهـ..

وقد تواترت فتاوى العلماء والفقهاء في تقرير هذه الحقيقة بلا منازع لهم ...

قال: " والدليل قوله تعالى : " لا إكراه في الدين "...

لا إكراه على الدين لظهور أدلته وبيانها ووضوحها ، ولهذا قال بعده:

" قد تبين الرشد من الغي " فإذا تبين الرشد من الغي فإن كل نفس سليمة لابد أن تختار الرشد على الغي ..

" فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله " بدأ بالكفر بالطاغوت قبل الإيمان بالله لأن

من كمال الشئ إزالة الموانع قبل وجود الثوابت ، ولهذا يقال التخلية قبل التحلية ...

وصفة الكفر بالطاغوت : أن تعتقد بطلان عبادة غير الله وتكفر أهلها وتعاديهم

وتقاتلهم بالسيف مع القدرة ، هكذا قال أئمة الدعوة ...

" فقد استمسك بالعروة الوثقى " أي تمسك بها تمسكاً تاماً , والعروة الوثقى هي الإسلام ...

قوله " وفي الحديث " أراد – رحمه الله – الاستدلال بهذا الحديث على أن لكل شئ رأساً

فرأس الأمر الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو الإسلام ...

"وعموده الصلاة"لأنه لا يقوم الإسلام إلا به،ولهذا كان القول الراجح كفر تارك الصلاة..

" وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله " بالكسر والفتح والضم يقال ذروة ، أي أعلاه وأكمله

الجهاد في سبيل الله لأنه فيه بذل النفس لله تعالى ،وهنا تنتهي الرسالة، وقد ختمها الإمام

– رحمه الله – برد العلم إلى الله تعالى والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ...

انتهت الحاشية على الرسالة بفضل الله تعالى

في صباح الإثنين 24 ربيع الآخر

1433 الموافق 2013/4/16وصلى الله وسلم

وبارك على محمد و آله و صحبه...

كتبها / أبو زياد النحوي ..